قراءة في شعر الشباب بسليانة

بقلم : الحبيب الدريدي

- **مدخل** : مشروعيّة هذه القراءة :

ليس من السّابق لأوانه أن أعقد فصلا للحديث عن شعر الشباب في سليانة، ذلك أن المطلع على المدوّنة النصيّة لشعراء الجهة الشبان يقف على مادة إبداعيّة جديرة بالدراسة وخليقة بالنظر والبحث. فنصوص شعراء سليانة الناشئين لا تخلو من طرافة وتميّز ولا نعدم فيها مظاهر للتفرّد ووجوها للتخصّص.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فمكانة الشعر من الحياة الأدبية والفكرية في سليانة رفيعة ومنزلته من حركة الابداع الفنّي مرموقة، وقد أذكى للكتابة الشعرية سراجها وأوضح طريقها ومنهاجها ما تُفرده مجلّة الإتحاف دوريا من أبواب قارّة لنشر أدب الشباب والتعريف بالأقلام الواعدة.

وقد اعتمدت في هذه القراءة على ما نُشر من قصائد للشعراء الشبان في الأعداد العشرين الأولى من الإتحاف، وقصرت البحث في مرحلة أولى على الجانب الدّلالي من هذه المدوّنة الشعرية دون النظر في البنية والأساليب، وهو مبحث قد أعود إلى تفصيل القول بشأنه في فصل لاحق.

1 ـ المحور الدّلالي الأوّل : الشعر :

لقد كان الشعر باعتباره عملية إبداعية وشكلا من أشكال التعبير عن الذات البشرية محور الاهتمام الأول لدى الشعراء الشبان في سليانة. فتحدّثوا

عن الحالة الشعرية لحظة ولادة وخلق للقصيد، وعن وظيفة الشعر فعلا في العالمين الدّاخلي والخارجي للانسان، وعن الشاعر كائنا مبدعا وخلاقا، وعن الشعراء قوما اختصّوا بالخارق من الأشياء والمعجب من الأمور.

يقول عبد الحميد البراري في قصيده «مخاض شاعر... فقصيدة» :

«تَلَظَّت مَشَاعِري بَيْنَ ضُلُوعي
وغَصَّ كِيَاني بها فَاعْتُقِلْ
بِرَأسِي اسْتَبَدَّتْ
وقَلْبِي بهَا قَدْ حُبِلْ
أجِنَّهْ،
عَذَارَى،
عُيُونِي حَيَارَى / وَنَبْسُ شِفَاهِي
وَطَرْفُ لِسَانِي
يُلَامِسُ نَارَا
أعَاصِيرُ حُبٍّ
تُحَاوِلُ خَرْقَ جِدَارْ
وَلَيْلُ الصَّبَابَةِ يُسْعِرُ نَارَ جَهَنَّمْ
وَيَجْلِدُ مَاءَ البِحَارْ»(1)

فلا خفاء أن الشاعر يمعن في هذا المقطع في تصوير الحالة الشعرية راصدا بإحكام طقوس عمليّة الخلق الفني ومتتبعا بدقة تفاصيل ولادة النص الشعري.

وفي نفس القصيدة يقول عبد الحميد البراري :

«أرَانِي كَطَيْرٍ حَبِيسْ
رَأى نَفْسَهُ فِي المَزَارِعْ

(1) مجلّة الاتحاف العدد 13 ص 67.

رَأى نَفْسَهُ فِي الشَّوَارِعْ
رَأى نَفْسَهُ فِي الْفَضَاءِ يَطِيرْ...
يَحُطُّ الرِّحَالَ،
يَسِيرْ...
يُؤَلِّفُ لِلْكَوْنِ لَحْنَ الرَّبِيعْ
وَمَعْنَى الرَّبِيعْ
وَيَرْسُمُ لِلْكَوْنِ لَوْحًا بَدِيعْ...»[2]

وغني عن البيان أن الشاعر يتحول في هذا المقطع إلى الحديث عن الشاعر فيعقد في البدء مقارنة ضمنية بين جسده الحبيس القاصر من جهة وروحه المجنّحة وخياله الطليق من جهة ثانية، ثم ينطلق من هذه الثنائية، ثنائية القيد والطلاقة ليقدم الشاعرَ باعتباره صانعا للجمال والفنّ في الكون ومشيعا للفرح والشدو بين البشر.

ويجمع عبد الحميد البراري إلى تصوير الحالة الشعرية والحديث عن الشاعر حديثا عن الشعر فيقول في قصيدته الآنفة الذكر :

«وَيَنْسَابُ شِعْرِي الْمُعَتَّقُ بِالصَّمْتِ بَحْرًا
فَيُخْمِدُ نَارَ الْمَشَاعِرْ...
وَيَعْرُجُ صَوْتِي نَحْوَ السَّمَاءْ
لِيُنْزِلَ مَاءْ
فَيَسْقِي الْمَزَارِعْ»[3]

إننا هنا أمام محاولة لتحديد وظيفة الشّعر. فالشّعر أولا مرحلة ختامية تتوّج أطوار الحالة الشعرية، فهي بهذا المعنى تشكل المولود الفني وعودة السكينة والاستقرار إلى نفس الشاعر. والشعر ثانيا رحلة إلى عالم قصيّ غرضها تبديل ما هو كائن بما ينبغي أن يكون فيتحول الجدب إلى خصب والموت إلى حياة والقبح إلى جمال.

(2) مجلّة الاتحاف العدد 13 ص 67.

(3) مجلّة الاتحاف العدد 13 ص 67 و 68.

وفي باب المحاولة لتحديد وظيفة الشعر نقف على بيتين لعبد الحميد البراري في قصيدته «أنا الرّوح» حيث يقول :

«بِسَلْسِ الْعِبَارَاتِ أَغْتَالُ حُبِّي وَفَوْقَ الْوَرَيْقَاتِ أَدْفُنُ صَبِّي
أَنَفِّسُ بِالشِّعْرِ ضِيقًا بِصَدْرِي وَيَهْوِي الْمُعَذَّبُ دَفْنًا بِجُبِّ»(4)

فالشعر عنده تفريج وتنفيس وخروج من الضّيق إلى الانفراج ومن الانقباض إلى الانشراح. هذا عن الشعر فماذا عن الشعراء؟

يقول محمّد العيّاشي طاع الله في قصيدته «لقاء الوجع» :

«بُرُزَ الشُّعَرَاءُ
بَعْضُهُمْ هَائِمُونْ...
بَعْضُهُمْ فِي رَبِيعِ الْمُجُونْ...
بَعْضُهُمْ تَائِهُونْ...
نِصْفُهُمْ أَوْشَكَ حَتْفَهُ أَنْ يَكُونْ»(5)

وواضح أن هذه الأسطر تحمل موقفا من الشعراء وخاصة أولئك الذين حادوا عن وظيفتهم وغفلوا عن الدور الموكول إليهم فسقطوا في مهاوي التّيه والضّياع، إلا أنها تبقى مرآة نرى من خلالها الشعراء قوما يعزفون عن المماثلة والمشاكلة ويميلون إلى المخالفة ويخرقون العادات والنّواميس ولا يتقيدون بالمتعارف والمألوف والمعهود.

2 ـ المحور الدّلالي الثاني : الوطن :

لقد استأثر الوطن باهتمام الشعراء الشبان في سليانة، إذ نجد لهم في هذا المحور قصائد غير قليلة حتى أضحى التوجه الوطني جليا واضحا في مدوّنتهم النصيّة. فقد استخدموا كل أشكال التعبير المتوفرة عندهم وجميع الأدوات والمعاني المتاحة لديهم لتصوير تعلقهم بالوطن وفنائهم فيه إلى حد الامتزاج.

(4) مجلّة الاتحاف العدد 9-10 ص 99.
(5) مجلّة الاتحاف العدد 12 ص 43.

إذ استنطقوا التاريخ يستلهمون منه صورة الوطن القديمة وتغنوا بها تغنّيهم بصورته الحاضرة، ولم يتوقفوا عند حدود الوطن الصغير بل كان للوطن الأم حضور بارز في قصائدهم، فقد وجدنا صدى لمعاناة هذا الوطن ولنضالاته في أشعارهم.

يقول محمّد العياشي طاع الله في قصيدة له بعنوان «فاتحة الكلام» :

«قَرْطَاجَةُ يَا مَرْحَبَا
دَفْقَةُ الخِصْبِ / وَقْدَةُ الحُسْنِ / خَطْفَةُ الزَّمَنِ
زَهْرَةُ المُدُنِ
طَيْفُ لِعِلّيسَةَ تُنَاجِي «تَانِيتَ»
صَرَخَاتُ أَمِلْكَارَ وَحُطَامُ أَسْطُولٍ قَدِيمْ
هِيَ أَسْوَارٌ مُحَطَّمَةٌ وَأَنْوَارٌ خَبَتْ
وَابِلُ الحُبِّ وَالوَحْيِ المُعَتَّقِ بِالتَّمَائِمِ وَالوَصَايَا
هِيَ أَنْزُعٌ لَا تَنْثَنِي
هِيَ فِي فَمِي
هِيَ فِي دَمِي
أَشْلَاءُ حُلْمٍ مُتْعَبٍ
وَبَقَايَا مِنْ قَطْرِ النَّدَى
نُسْغٌ وَرِيحٌ مِنْ صَبَا
قَرْطَاجَةُ يَا مَرْحَبَا»(6)

فليس من ريب أن الشاعر وهو يستدعي قرطاجة الحسناء في عصرها الذهبي ويستعيد طيف علّيسة وصرخات أميلكار يشعر بنخوة الانتماء إلى أرض متأثّلة وراسخة في التاريخ ووطن يملك ماضيا لامعا وأمجادا عريقة وتأسيسا على ذلك وانطلاقا منه فهو يؤكد أنه ليس إلا امتدادا لتلك الجذور المتأصلة والأمجاد الخالدة.

ويقول عبد الحميد البراري في قصيدته «أنت القضيّة» :

(6) مجلّة الاتحاف العدد 19-20 ص 33 و 34.

«أتُونِسُ أنْتِ الرِّمَالْ
وَأتْرِبَةُ الخِصْبِ فِي ذِي السُّهُولْ
أتُونِسُ أنْتِ شُمُوخُ الجِبَالْ
وَقَطْرَةُ مَاءٍ وَثَمْرَةُ نَخْل
وَزَيْتُونَةٌ حُرَّةٌ لَا تَزُولْ
أتُونِسُ أنْتِ حَدَائِقُ حُبّ
وَوَرْدَةُ حُبِّي
وَعَهْدِي العَظِيمُ الجَلِيلْ
أتُونِسُ أنْتِ جِسْمِي
وَاسْمُكِ إسْمِي
وَرَسْمُكِ رَسْمِي
وَخَصْمُكِ فِي الْعَالَمِ هُوَ خَصْمِي»(7)

لعله من النافل أن نشير إلى نَفَس التغنّي الذي يشيع في هذا المقطع وهو تغنّ منشؤه التعلّق ومبعثه الشعور بالامتزاج والتوحّد حتى لكأننا بحبّ الوطن يصبح ضربا من العشق الصوفي يفنى بمقتضاه العاشق في ذات معشوقة.

ولعلّ هذا الضرب من التعلق الذي يصل إلى حد الفناء والامتزاج هو الذي نجده عند سعيدة العربي في قصيدتها «عرس الحرية» حيث يقول :

«فَوْقَ صَدْرِي ثَارَ الجَرْحَى
فَوْقَ أرْصِفَتِي زَغْرَدَتْ ثَكْلَى
أنَا مَنْ رَسَمَتْ قُبْلَةً
عَلَى وَجْهِ حُبْلَى...»(8)

ففضلا عن تجاوزها نطاق الوطن الصغير إلى الوطن الكبير فهي والوطن سواء امتزجا حتى صارا كُلّا واحدا لا ينفصل.

ويقول نور الدين التاغوتي في قصيدة له بعنوان «لأجلك يا وطني» :

(7) مجلّة الاتحاف العدد 12 ص 69.
(8) مجلّة الاتحاف العدد 16 ص 75.

«غَرِيبٌ أَنَا بَيْنَكُمْ يَاعَرَبْ
وَذَا وَطَنِي قَدْ تَلَاشَى دُخَانَ حَطَبْ
غَرِيبٌ... غَرِيبْ
أَنَا فِي ظَلَامٍ مُرِيبْ
مَحُوا آيَتِي / عَلَّقُوا
فَوْقَ صَدْرِي صَلِيبْ»(9)

إن ما يتعرض له الوطن من استلاب وطمس للشخصية والهوية من العوامل التي تصنع غربة الشاعر وتطبع نفسه بالأسى والاكتئاب وتجعل الأفق الذي يستشرفه حالك السواد متصل الظلمة. وعلى خلاف ذلك، كلما عادت للوطن كرامته واسترجع حريته ومقومات سيادته كانت نفس الشاعر مطبوعة بالأمل والتفاؤل وكانت رؤيته واضحة وأفقه متسربلا بالضياء. تقول إيمان عبد الملك في قصيدتها «إلى الشّهيد» :

«هَذِهِ تُونِسُ أَمْسَتْ جَوْهَرَةً نُورُهَا وَقَّادْ
بَاقِيَةً كَرُوحِي وَرُوحِكَ إِلَى الأَبَدْ...
لَا مَكَانَ فِيهَا لِطَاغِيَةٍ...
لَا مَكَانَ فِيهَا لِظَالِمٍ...
لَا مَكَانَ فِيهَا لِمُسْتَبِدْ...»(10)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولعل القطعة التي جمعت إلى نَفَس التغني إبراز قيمة الوطن في نفس الشاعر والمكانة العالية التي يحتلها والمحل الرفيع الذي يتبوؤه هي الواردة في قصيدة محمّد العياشي طاع الله «لنا الله والحبّ والوطن القادم» حيث يقول :

«لَسْتَ بَعِيدًا
فَحَسْبُكَ أَنَّكَ لِلْقَلْبِ لَيْمُونَةٌ يَسْتَظِلُّ بِهَا
وَأَنَّكَ لِلزَّهْرِ أَفْضَلُ مِنْ قَطَرَاتِ النَّدى
وَلِلْعُمْرِ أَجْمَلُ مِنْ لَحَظَاتِ الصِّبَا

(9) مجلّة الاتحاف العدد 9-10 ص 94.
(10) مجلّة الاتحاف العدد 14 ص 79.

فَيَا الوَطَنُ المُوغِلُ فِي الحَشَا
لَكَ الأَمْرُ مُحْتَفِلًا بِاحْتِفَالِ الرَّدَى»(11)

3 ـ المحور الدلالي الثالث : المرأة :

لم تكن المرأة في قصائد الشعراء الشبان عنصرا حاضرا فحسب بل لن نجانب الصواب إذا قلنا إنها كانت عنصرا طاغيا. فقد تحدّث هؤلاء عن المرأة باعتبارها مصدر إلهام للقول الشعري كما اشتكوا من بعدها وجفائها ودعوها إلى القرب والوصال. ثم قدموا للمرأة صورتين مختلفتين : صورة مرفوضة مستهجنة وصورة مقبولة محبذة.

يقول محمّد العياشي طاع الله في قصيدته «نـداء» :

«لأَجْلِكِ يَنْزِفُ جُرْحِي المُعَطَّرُ بِالْحُلْمِ وَالأُمْنِيَاتْ
لأَجْلِكِ يَشْتَدُّ فِي دَاخِلِ القَلْبِ غُصْنُ الحَيَاةْ
لأَجْلِكِ صَارَتْ نَسَائِمُ هَذَا الغُرُوبِ صَبَاحًا يُعَتِّقُنِي بِالثَّبَاتْ
لأَجْلِكِ يَهْتِفُ هَذَا الَّذِي فِي الفُؤَادْ»(12)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فغير خفي أن المرأة هنا هي الباعث على القول الشعري والمحفّز للكتابة وهي التي كانت وراء عملية الابداع والانشاء، فمن أجلها هتف القلب وشدا الفؤاد. ولكنها لم تكن لتلهم الشاعر كلاما ومعاني وتوحي إليه صورا وأنغاما لو لم تكن غائبة بعيدة نائية فجاءت أغلب القصائد التي كانت المرأة موضوعا لها مليئة بالشكوى والتحسّر قائمة على الدعوة إلى الوصال ورجاء القرب واللقاء. ففي قصيدة «نـــداء» لمحمّد العياشي طاع الله نقرأ :

«أَلَا يَا الَّتِي مِثْلَ بَلْسَمْ
جِرَاحِي بِهَا قَلَقٌ وَسُهَادْ
أَلَا فَاسْمَعِي المُتَكَلِّمْ

(11) مجلّة الاتحاف العدد 16 ص 14.
(12) مجلّة الاتحاف العدد 6 ص 66.

وَلَبِّي نِدَاءَ العِتَابْ
كُونِي الشِّرَاعَ لِمَرْكَبَةِ الحُبِّ والامْتِدَادْ»[13]

وفي نفس هذا المعنى يقول طاع الله في قصيدة «خمس رسائل حب إليها» :

«هَاتِي كَفَّيْكِ / أَقُصُّ عَلَيْكِ حَكَايَا العِشْقْ
هَاتِي ذِرَاعَيْكِ / سَوْفَ يَجِيئُ الآتي وَلَنْ يُبْلِينَا الشَّوْقْ»[14]

ثم نجد الشاعر نفسه يدعو الحبيبة إلى العودة في لهجة ضراعة وتوسل لأن عودتها ستكون بمثابة عودة الروح للميت فيقول في قصيدة «اعترافات عاشق» :

«عُودِي فَلَا بُدَّ الرُّجُوعْ
عُودِي فَكَمْ يَحْتَاجُ لِلنَّهْدِ الرَّضِيعْ
عُودِي فَكَمْ يَشْتَاقُ لِلزَّهْرِ الرَّبِيعْ
رُدِّي مَعِينَ الرُّوحِ لِلْجَسَدِ القَتِيلْ»[15]

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وما كان الشاعر ليتشبث بعودة الحبيبة كل ذلك التشبث ويلحّ في استدرار عطفها كل ذلك الالحاح إلا للمزايا التي تتحلى بها هذه الحبيبة والخصال التي تملكها فهي أنس للغريب وملجأ للتائه وأمن للخائف. يقول العيّاشي طاع الله في قصيدة «فاتحة الكلام» :

«فِي كَفِّهَا اليُمْنَى السَّنَابِلُ وَالحَمَامْ
وَبِالْيُسْرَى تُلَوِّحُ لِلْغَرِيبْ
وَالرِّيحُ تَعْصِرُ خِصْرَهَا
وَالهَائِمُونَ بِظِلِّهَا يَتَوَافَدُونْ»[16]

(13) مجلّة الاتحاف العدد 6 ص 66.
(14) مجلّة الاتحاف العدد 9-10 ص 91.
(15) مجلّة الاتحاف العدد 14 ص 37.
(16) مجلّة الاتحاف العدد 18 ص 7.

غير أن المرأة عند شعراء سليانة الشبان لم تكن واحدة وها هنا معقد المسألة التي نحن في سبيل طرحها. لقد قدّم هؤلاء الشعراء وجهين للمرأة : وجه المرأة العاهرة ووجه المرأة الطاهرة، فأنكروا على المرأة وجهها الأول ورفضوه رفضا صارخا وباركوا لها الوجه الثاني وتعلّقوا به شديد التعلّق. يقول العيّاشي طاع الله في قصيدة له بعنوان «إلى غانية» :

«رَأَيْتُكِ نَافُورَةً دُونَ مَاءْ
عَرَاؤُكِ يَنْهَشُ أَوْرِدَتِي
يَقْرَعُ قَلْبِي
يَسْلِبُنِي زَهْرَةَ الكِبْرِيَاءْ
وَشَكْلُكِ كَالوَتَدِ فِي دِمَاغِي
يُعَتِّقُ أَسْئِلَتِيَة بِالتَّوَاطُىءِ
يُعَمِّقُ شَرْخَ الوَفَاءْ
فَأَبْقَى عَلَى الجَمْرِ يَا «شَهْرَزَادَ النِّسَاءْ!»[17]

كما نقرأ له في قصيدة «خمس رسائل حب إليها» :

«هَكَذَا... لَعِقَ الزَّمَنُ الوَفَاءَ
هَكَذَا... تَتَرَدَّدُ لَيْلَى عَلَى بُؤْرِ الخَنَاءْ»[18]

ويكشف عبد الحميد البراري القناع عن الوجه الحقيقي للمرأة المخادعة ويفضح زيف مشاعرها فيقول في قصيدته «إلى امرأة» :

«إِنِّي أَعْرِفُ يَا امْرَأَةً
مَا تَهْوِينَهُ فِيَّ
تَبِيعِينَنِي مِنْ أَجْلِ الدُّنْيَا
تَضَعِي دُنْيَاكِ عَلَى كَتِفَيَّ
بَلْ تَسْخَرِي مِنْ جُرْحِ الكَدِّ عَلَى كَفِّي

(17) مجلّة الاتحاف العدد 7 ص 64.
(18) مجلّة الاتحاف العدد 9-10 ص 92.

تَتَقَزَّزِينَ مِنْ عَرَقِي
وَتُفَضِّلِينَ عِطْرًا بَارِيسِيًّا»[19]

وفي المقابل وجدنا أن المرأة الطاهرة تتبوأ مقاما رفيعا وتحتل مكانة ممتازة عند الشعراء الشبان في سليانة، حتى أن الشاعر لا يتردد في أن يهب عمره إليها. يقول العيّاشي طاع الله في قصيدة «الحلّة السوداء» :

«جَمَالُكِ قَدْ سَحَرَ العُيُونْ
قَدْ زَادَ فِي جُنُونِ مَنْ أَصَابَهُ الجُنُونْ
البَحْرُ فِي عَيْنَيْكِ
وَالْعُمْرُ قَدْ وَهَبْتُهُ إِلَيْكِ
يَا لَوْحَةً قَدْ جَمَعَتْ رَوَائِعَ الفُنُونْ
يَا كَوْكَبًا يُنِيرُ ظُلْمَةَ المَخْزُونْ»[20]

وتتضح الفكرة المذكورة آنفا وتتأكد عندما نقرأ قطعة «براءة» من قصيد يحمل عنوان «قصائد إلى عبد الصبور الضائع» لمحمد العياشي طاع الله حيث تمتزج المرأة الطاهرة بالطبيعة البكر امتزاج العفّة بالنقاء وتتعانقان عناق الجمال والسحر فتأتي القطعة قريبة مما أنشأه الرومنطيقيون عن المرأة :

«الأَقْحُوَانُ غَفَا فِي يَدَيْكِ
وَسُنْبُلَةُ القَمْحِ تَاجٌ،، تَدَلَّى
عَلَى كَتِفَيْكِ
يَتَمَلْمَلُ فِي صَدْرِكِ المَرْمَرِيُّ زَوْجُ حَمَامْ،،،
عَلَى وَقْدَةِ الصُّبْحِ تَلْثُمُكِ النَّسَمَاتْ
تَأْتِيكِ غَاشِيَةٌ مُلْهِمَهْ
لِتُحْلِمَكِ بِالَّذِي قَدْ يَعُودُ،،
وَقَدْ لَا يَعُودْ»[21]

(19) مجلّة الاتحاف العدد 15 ص 69.
(20) مجلّة الاتحاف العدد 8 ص 67.
(21) مجلّة الاتحاف العدد 15 ص 53.

ويصور عبد الحميد البراري المرأة النموذج كما تخيّلها فيقول في قصيد «إلى امرأة» :

«كُوني الوَرْدَ
كُوني الأزْهَارْ
كُوني نَغَمِي يَتَرَاقَصُ بَيْنَ الأشْعَارْ
لأكُونَ سَجِينَ الوَرْدِ / سَجِينَ الأزْهَارْ
سَجِينَ النَّغَمِ وَسَجِينَكِ في كُلِّ الأشْعَارْ»(22)

ومن الأهمية بمكان التعرض لمظهر آخر من مظاهر ثنائية صورة المرأة وازدواجيتها عند الشعراء الشبان في سليانة، فبعد أن وقفنا على تمييزهم بين المرأة العاهرة والمرأة الطاهرة نجدهم يعالجون ثنائية أخرى وهي ثنائية الحضور والغياب ويصورون المرأة في منزلة بين إثبات الذات وتأكيد الحضور من جهة والانكفاء على الذات والغياب من جهة ثانية. يقول العيّاشي طاع الله في مقطوعة «أنْتِ» من قصيدة «قصائد إلى عبد الصبور الضائع» :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

«كَرَائِحَةِ الصَّمْتِ
أنْتِ بَعِيدَهْ،،
وَمُقْبِلَةٌ كَالجَوَابْ
كَلَوْنِ السُّكُونِ أنْتِ مُزَرْكَشَةٌ،،
وَمُضَرَّجَةٌ بِانْشِطَارِ الْقَرَارْ
لَا رَأْيَ!،، لَا مَوْقِفَ يَمْتَطِيكِ
وَلَا رَفْضَ قَدْ يَحْتَوِيهِ الجِرَابْ
فَلَا أنْتِ مَسْكُونَةٌ بِالحضُورِ
وَلَا أنْتِ مَوْجُودَةٌ فِي سِجِلِّ الغِيَابْ»(23)

(22) مجلّة الاتحاف العدد 15 ص 71.
(23) مجلّة الاتحاف العدد 15 ص 53.

4 ـ المحور الدّلالي العام : التحدّي والاصرار :

لئن كان الشعر والوطن والمرأة أبرز المحاور والأغراض التي استأثرت باهتمام الشعراء الشبان في سليانة وشكّلت تبعا لذلك معاني أساسية في قصائدهم فإننا نجد محورا دلاليا عاما يطبع هذه الأغراض جميعها وسمة مميزة تنتشر عبر المدوّنة النصيّة المدروسة كلها وهي ما أطلقنا عليه تسمية «التحدي والاصرار».

فشعراء سليانة الشبان من خلال قصائدهم لا يكترثون بالصعاب ولا يأبهون بالعقبات ويهزؤون بالقيود والأصفاد وهم إلى ذلك متفائلون بالآتي يستشرفون الغد المشرق ويتسقبلون الصباح الجديد بأمل فيّاض. لذلك وجدنا في قصائدهم النفس الثوري الحماسي وزخرت أشعارهم بروح البطولة والاصرار على الغلبة. يقول العياشي طاع الله في قصيدة «غربة» :

«بَيْنَ نَابِ اللَّيْلِ وَالضِّرْسِ الحَدِيدْ
وَمَخَاضِ اللَّيْلِ فِي أَوْجِ الْمَخَاضْ
يَلِدُ الفَجْرُ بِرَغْمِ الزَّائِفِينْ
وَيَحُلُّ الآنَ بَدْءًا بِالْمَكَانْ»[24]

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويؤكد نور الدين التاغوتي في قصيدة «لأجلك يا وطني» إيمانه بالفعل وإصراره على الحياة بما تتضمنه من معاني النصر والظّفر فيقول :

«أَنَا مَنْ كَرِهْتُ النُّوَاحْ ...
وَدَمْعَ الْقُلُوبْ
أَنَا مَنْ عَشِقْتُ السِّلَاحْ
وَهَوْلَ الْحُرُوبْ
تُغَسِّلُنِي قَطَرَاتُ دَمِي
وَتُقْبِرُنِي فِي ظَلَامِ الدُّخَانْ
لأَجْلِ الحَيَارَى / لأَجْلِ الثَّكَالَى

(24) مجلّة الاتحاف العدد 3 ص 81.

لِحَقِّ الشَّهِيدْ / لِطِفْلٍ طَرِيدْ
لأَجْلِ الحَيَاةِ سَنَحْيَا»[25]

وفي قصيد «لقاء الوجع» نلاحظ إصرار العياشي طاع الله على العودة وتحديه للصعاب إذ يقول :

«الشُّمُوعُ تَعُودْ
الشُّمُوعُ تُضِيءُ جُفُونَ الَّذِي قَدْ غَفَا...
أَشْعِلِي النَّارَ يَا زَهْرَتِي
إِنَّنِي سَأَعُودْ
... سَأَعُودْ»[26]

وتتضح نبرة التحدي بجلاء في قصيدة «الجناح المكسور» لنفس الشاعر حيث يقول :

«خَمْرَةُ الآمَالِ فَاضَتْ فِي القِدَاحْ فَاعْبُرِ النَّهْرَ وَلَا تَخْشَ الرِّيَاحْ»[27]

ثم يؤكد العياشي طاع الله نفسه الثوري الحماسي في لهجة مفعمة بالتفاؤل ومليئة بالأمل فيقول في قصيدة له بعنوان «لنا الله والحب والوطن القادم» :

«قَادِمُونَ بِلَا مَوْعِدِ قَادِمُونْ
شَجَرًا يَقْتَفِي شَجَرًا قَادِمُونْ
حَجَرًا يَقْذِفُ حَجَرًا قَادِمُونْ
لَنَا اللهُ وَالْحُبُّ وَالْوَطَنُ الْقَادِمُ
سَنُلَوِّنُ كُلَّ الْجَدَاوِلِ فِي وَاحَةِ الْقَلْبِ
يَا وَطَنِي،، عَائِدُونْ

(25) مجلّة الاتحاف العدد 9-10 ص 94.
(26) مجلّة الاتحاف العدد 12 ص 47.
(27) مجلّة الاتحاف العدد 13 ص 16.

قَادِمُونَ إِلَى الْعِرْضِ وَالأَرْضِ والْغَيْظِ
يَا وَطَنِي إِنَّنَا زَاحِفُونْ»[28]

أما بعد الحميد البراري فيذهب إلى شأو آخر في التحلّي بروح الاصرار والتحدي فيلوح ثائرا مؤمنا بقدرة الارادة على تحطيم معاقل الظلم والاضطهاد ودكّ حصون العسف فيقول في قصيدة «لن ننتظر» :

«بِرَغْمِ الرَّصَاصِ الَّذِي أَطْلَقُوهُ
وَرَغْمَ الرَّصَاصِ الَّذِي يَنْتَظِرْ
سَنَفْتَحُ بِالصَّخْرِ ذَاكَ الْقَدَرْ»[29]

ولا نعدم عند سعيدة العربي روح التفاؤل والايمان بالنصر وهي التي تقول في قصيدة «عرس الحرية» :

«عِيدُ الحُرِّيَّةِ مَوْلِدِي
إِنِّي قَادِمَةٌ فِي الْمَوْعِدِ»[30]

وفي قصيدة «موعد» تلوح منية الزغبي مؤمنة بحتميّة الثأر للشهداء وبقرب موعد الانتصار فتقول :

«آهٍ أَيَّتُهَا الثَّكْلَى
بِمِلْيُونِ شَهِيدْ
لَا تَحْزَنِي
لَا تَتْرُكِي الْوَلِيدْ
فَعُمْرُنَا مَدِيدْ
حَتْمًا سَيَنْتَصِرْ
عِقْدُ الذَّهَبْ
فُسْتَانُنَا الْحَدِيدْ»[31]

(28) مجلّة الاتحاف العدد 16 ص 13.
(29) مجلّة الاتحاف العدد 16 ص 64.
(30) مجلّة الاتحاف العدد 16 ص 75.
(31) مجلّة الاتحاف العدد 18 ص 82.



أغنيـــات

شعر : **محمد العياشي طاع الله**

الأغنية الأولى : طَائِرُ الفِرْدَوْس

يَا طَائِـــرًا أَطْـــرَدَ سُبَاتِـــي ... أَلْحَانُـــهُ شَرَّدَتْ جُفُونِـــي
آهَاتُـــهُ عَانَـــقَتْ شَكَاتِـــي ... وَانْهَـــارَ مِنْ شَدْوِهِ يَقِينِـــي
ضَاعَ الذِي «ضَيَّـــعَ» حَيَاتِـــي ... وَشَمَّ هَوَاهُ عَلَـــى جُنُونِـــي

أَرِقَتْ مِنْ لَحْنِكَ الحَزِيـــــنْ ... وَهَزَّنِـــي الشَّوْقُ وَالْحَنِيـــنُ
وَصَاحَ بِي مَوْكِبُ الحَيَـــارَى ... «أَرِحْنَا مِنْ صَرْخَةِ المَنُونِ»
فَطَـــافَتِ الـــرُّوحُ بِالمَحَـــارَى ... وَعَنْهَـــا لَا يَنْضُبُ المَعِيـــنُ
وَهَلَّلَتْ فِي الدُّجَـــى العَـــذَارَى ... وَبَـــدَّدَتْ وِحْشَةَ السِّنِيـــنِ

الأغنية الثانية : نَهْرُ الحُبّ

يَا سَمَاءً أَمْطَرَت زَهْرَ الأَمَانِي ... وَزَمَانًا قَدْ سَقَى غَيْثًا زَمَانِي
عَادَتِ الرُّوحُ لِإِدْرَاسِ القَوَافِي ... فَهَوَى الفَيْرُوزُ فِي أَسْرِ بَيَانِي
مُقْلَةٌ كَالبَحْرِ أَغْرَانِي بَهَاهَـــا ... وَبِهَا أَغْرَيْتُ سُلْطَانَ كِيَانِـــي
أَعْلَنت أَسْرَ فُؤَادِي وَجْنَتَاهَـــا ... وَارْتَضَتْ سَفْكَ دِمَائِي الضَّفَّتَانِ
هُوَ ذَا القَلْبُ غَفَا فِي رَاحَتَيْهَا ... فَغَفَتْ أَهْدَابُهَا بَعْضَ الثَّوَانِـــي
وَاشْتَكَى الجُرْحُ لِثَغْرٍ احْتَوَتْـــهُ ... خَمْرَةُ الرُّوحِ بِفِرْدَوْسِ الجِنَانِ
وَقْدَةُ الرَّاحِ تَلَظَّى فِي القِـــدَاحِ ... بَعْدَ عَجْـــزٍ اسْتَبَـــدَّتْ شَفَتَـــانِ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رَحيـــل

عزيز الوسلاتي

وَأنَا عَلَى الوَادِي أشُقَّهُ، فَسكِرْتُ مَاءً، وَقَدْ كُنتُ ضَمْآنَ، فَأنَا جَمْرَةٌ عَلَيْهَا الماءُ برودَة تَعْذُبُ، فَهَمَسْتُ إليَّ : «لَوْ كُنتُ الأرْضَ ... أرضَ مَنْبَعِ الوَادِي وَمُنْتَهَاهُ».

ورَأسِي أرفَعُهُ، فَأنَا إلَى نَاظِرَيَّ، وَرِعْشَةٌ تَسْرِي كَحَيْرَةِ إنكارٍ.

فَأنَا بالمَاءِ، وهو إليَّ يَغْسِلُنِي طَهَارَةً، وَقَدْ كُنْتُ خَلَعْتُ مَا حَجَبَ جَسَدِي عَنْ شعاعِ الشَّمْسِ، فكُنْتُ عَلَى أصلِي، وَتَمْتَمْتُ : «كَذِبٌ أنْ يُولَدَ المَرْءُ واحِدَةً»، وكانَ ثانِي مَوْلِدِي.

واسْتَرْخَيْتُ، وكنتُ أريدُ الرَّحِيلَ، فالتَّعبُ إليَّ كَمَا أنَا إلى الطَّريقِ أشدَّهَا مَسيرًا، فالشَّمْسُ أصيلٌ، والسَّرابُ مِرْآةٌ تَبْهرُ كَأصْفَى وأحَرّ، وَصَفِيرُ الفَرَازيتِ إلى مسْمَعِيَّ كنعيقِ جَرْحَى بَعْدَ حَرْبٍ والغُبَارُ.

وتهُزّنِي رِعْشَةٌ تَسْرِي : أمِّي أحْبَبْتُهَا تُزَغْرِدُ، وَقَدْ أغْمِيَ عَلَيْهَا أوَّلَ مَوْلِدِي، فنهَضْتُ، وَقَدْ جِئتُ عَلَى مَا تَبَقَّى بِمِزْوَدِي.

فالطَّريقُ، وَأمِّي وَقَدْ أغْمِيَ عَلَيْهَا أحْبَبْتُهَا تُزَغْرِدُ، وَأنَا عَارٍ في الخَلاَء.

وَالْتَفَتُّ، وَأنَا أمْلأُ الدُّنْيَا لُهَاثًا، وَعَلَى الأرْضِ خُطايَ كرُعُودِ خريفٍ، فإذا قُرْصَةٌ تَحْمَرُّ في صَمْتٍ وذُهُولٍ وَاصْفرار.

فَتَوَقَّفْتُ، وَجَهَدْتُ نفسِي عَلَيْهَا، وَفَرَكْتُ عَيْنَيَّ، فَأَيْقَنْتُ أنّها الشَّمْسُ إلَى ظَهْرِي، وقَدْ كنْتُ أحْضُنُهَا عَلَى صَدْرِي قَبْلَ تَطَهُّرِي.

فَإذَا رِعْشَةٌ !

والطَّرِيقُ، وأُمِّي، والشَّمْسُ إلى ظَهْرِيَ تَحْمَرُّ فِي صَمْتٍ وَذُهُولٍ وَاصْفرار.

وَطَرَقْتُ الحَيَّ، وكنْتُ وَطِئْتُ تُرَابَهُ بَعْدَ صَلَاةِ العِشاء، فَلَا نَفَسًا وَلَا نُبَاحَ كَلْبٍ.

فَبُرودَةٌ كَوَقْعِ الثَّلْجِ لَسَعَتْنِي.

وإذا بِصَوْتٍ يُرَدِّدُ، وكأنَّهُ يُخَاطِبُنِي : «لَقَدْ رَحَلُوا ... لَقَدْ رَحَلُوا ...» فَنَظَرْتُ، فَإذَا هُو شَيْبَانُ كَالوادِي عَلَى عَصَاه، فَتَذَكَّرْتُ ما كُنْتُ أسْمَعُ مِنْهُ صِبَايَ عُمْرِي :

«قَالُوا : هِيَ ذِي الطَّرِيقُ.

قلتُ : رَهْبَةٌ وغُرْبَةٌ وَاستِحَالَةُ وُصُول هِيَ الدُّنْيَا ...».

كَانَ يَقولُهَا، وَيَحْتَجِبُ عَنِ القومِ، فَلَا نَرَاهُ إلَّا بَعْدَ دَهْرٍ.

ARCHIVE

الرَّجز في الأدب العربي

بقلم : **خليفة الخياري**

للرَّجَزِ من الخصائص الفنية ما يجعله جديرا بالانفراد بمبحث أو أكثر... واخبار الرَّجاز متضاربة، متناثرة بين دفّات الكتب التي لا مناص من اعتمادها في ما تقادم عهده من أدب. إلا أننا نرى التطوّر المطرد للشعر، في الوقت الذي اندثر فيه الرّجز تماما. فيوم أضحى الشعر ديوان العرب، مات الرّجز، وأهمل الرّجاز ويوم حدّد مفهوم الشعر باعتباره «كلام موزون، مقفي، يدل على معنى...[1] غاب مفهوم الرّجز وهو الكلام الموزون، الغني بالقوافي، الذي لا أخاله قيل لكي لا يرتبط بمعنى من معاني الشعر... وان يكن قوام الشعر «أربعة أشياء : هي اللفظ، والوزن، والمعنى، والقافية[2]» فللرجز كذلك من الألفاظ ما جعل ابن منظور يكثر من الالتجاء إليه حالما يستوقفه لفظ اندثر لقلّة استعماله، أو شُكّ في صحة انتمائه للغة العرب...[3] لذلك سنحاول الالمام ـ بما ملكت أيدينا من معلومات ـ بمسار هذا النمط الشعري من خلال إفرازه كجنس من أجناس التعبير المنفردة بخصائص هامّة تربطها بأدب العرب أمتن الصّلات.

1 ـ خاصيات الرَّجز :

أ ـ الوزن : كلّ ما لدينا من أراجيز مأثورة، ومقطوعات مبْتورة، توافق بحر الرّجز، حتى أننا نرى بعض المعاجم قد عدّ أصحابها كل شعر قيل في

(1) قدامة بن جعفر : نقد الشعر ص 2.
(2) ابن رشيق : العمدة ج 1 / ص 119.
(3) ابن منظور / لسان العرب (كل الأجزاء لا تخلو من رجز).

الرجز رجزا[4]. وليس من المعتاد تسمية الشعر باسم البحر الذي وافقه، ولا من الموضوعية في شيء، لأن مثل هذا الادعاء يجعل علم العروض غاية الشعراء، والحال أن الوزن ليس إلا وسيلة من وسائل تجويد الشعر وقولبته. والعروض مستنبط من الشعر في حدّ ذاته بما يساعدنا على التيقن من أن تسمية هذا الشعر بالرجز ليس لموافقته هذا البحر وإنما لأن الخليل قد استخرج هذا البحر من النمط الشعري المسمى رجزا في حد ذاته[5].

ومحاولة منه لاعطاء الرَّجز مفهوما معبّرا جامعا قال الدكتور عزة حسن : «هو ضرب من شعر العرب يقال على بحر الرجز من مشطوره»[6] ومشطور هذا البحر يعني استخدام شطر تفعيلاته باعتباره : «موحّد، محدث، أجزاءه (مستفعلن) ستّ مرات»[7]. إلا أن بعض الأراجيز تستوعب بحر الرَّجز تامّا. فهل نعتبر مثل هذا البيت شعرا رغم اتسامه بميسم الرَّجز؟

مَلَسًا بِذَوْدِ الْحُمَسِيِّ مَلْسَا مِنْ عُذْوَةٍ حَتَّى كَأَنَّ الشَّمْسَا
بِالأُفُقِ الْغَرْبِيِّ تُطْلَى وَرْسَا[8]

وستَسْتَوقِفُنا خصائص أخرى أجلّ قيمة وأكثر خصوصية تعيدنا إلى نفس الأشكال : علاقة الشعر بالرّجز.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ب ـ القافية : في الشعر عموما هي : «الجزء الذي يكوّن آخر قسم من البيت وتتألّف من الحروف التي تبدأ بـ (المتحرك قبل آخر ساكنين في آخر البيت الشعري)[9]. أما في الرجز فالقافية ستتخذ مظهرا مخالفا. فالراجز ليس مطالبا بجزء يختم العجز ويدوم حتى منتهى القصيدة، بل إن هذا

(4) المنجد / لويس معلوف / ص 251 + أساس البلاغة : محمود بن عمر الزمخشري، ط. دار صادر.

(5) الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 174 م) هو واضح علم العروض بينما تعود أقدم الأراجيز إلى الجاهلية.

(6) د. عزة حسن / مقدمة ديوان العجاج ص 18.

(7) العمدة / لابن رشيق ج 1 ص 303.

(8) البيت للهفوان العقيلي أحد لصوص العرب.

(9) د. عبد الرحمان عطبة / في رحاب اللغة العربية ص 89.

الجزء سيلازم الصدر والعجز ونهايات المقاطع المشطورة حيث يتفق الروي على مدى القصيدة اتفاقا قد يتجاوز أحيانا القواعد الشعرية التي جعلته خاتمة القول، أو الحرف الذي يغلق البيت، فيسمح لحروف المدّ مثلا (الألف، والهاء) بأن تليه. أو يجوز تسكينه، وهذا كثير الانتشار في الأراجيز :

كأن عينَيهِ إذا مَا أثْأرا فصّان قيضا من عقيق أحمرا
في هامة غلباء تهدي منسرا كعطفة الجيم بكفّ أعسرا[10]

قال العجاج (الديوان ص 28) :

داني حاجبيه من الطور فمرْ
تقضّي البازي إذا البازي كَسَرْ

ورغم صعوبة تنسيق القوافي في الأراجيز فإننا لا نكاد نعثر عمّا يشينها، لا إيطاء ولا إيغال في الغريب ـ لأن ابن رشيق يرى أن القوافي الغريبة من عيوبها، ولا استجازة إلا ما قد ندر، ونقصد بذلك ما أجازه الشعراء من أن تجتمع النون والميم مثلا في القوافي نظرا لاجتماعهما في الغنّة[11].

ج ـ الرّجز وعمود الشّعر : يتكوّن البيت الشعري من صدر وعجز ولم نعهد لهذه العادة خرقا في الأدب العربي القديم. والرجز ـ كجنس من أجناس الشعر ـ يتغير بعض الشيء على مستوى الشكل فهذا رجز :

يَا ذكْرَةً ذِكرتُ ليلى بعدما
جَالَ الفؤاد جولة واستهزما[12]

وهكذا تصاغ الأراجيز أيضا :

مازال يأتي الأمر من أقطاره عن اليمين وعلى يساره

(10) الرجز لأبي نواس / عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة ص 163.
(11) المبرد / الكامل في اللغة والأدب ج 2 ص 74.
(12) العجاج / الديوان ص 260.

مشمّرا لا يصطلي بناره حتى أقرّ الملك في قراره
ومرّ مروان على حماره[13]

ويتخذ أحيانا شكل القصيدة فنراه يتكون من صدر وعجز إلا أنه يمتاز بالانفصال فالقافية والروي خاصة قد أكسبا كل جزء (اي الصدر أو العجز) معناه الخاص بحيث يمكن قلب القصيدة فتأخذ شكل المثال المذكور أولا :

قال دُكَيْن الراجز

يا عمر الخيرات والمكارم وعمر الدسائع العظائم
إني امرؤ من قطن بن دارم طلبت ديني من أخ مكارم
إن ننتحي والله غير نائم عند أبي يحيى وعند سالم[14]

هذه الأشكال الثلاثة كانت وراء تذبذب الدارسين في ما يتعلق بمفهوم الرجز. ولا ينبغي لنا أن نتجاهل شكل الأرجوزة عند العجاج ـ باعتباره «أمير الرجاز وهو مقدم بينهم مثل امرىء القيس بن الشعراء سواء»[15]. ففي ديوانه يغلب الشكل الأول إذ لا نعثر فيه إلا على أبيات تعد على الأصابع اتخذت شكلا مغايرا. ومن ثمة قد لا نكون أوغلنا في الاعتقاد كثيرا إذا ما اعتبرنا كل رجز خرج عن هذا الشكل خطأ تدوينيا بحتا، والحال أن كل الأراجيز قابلة للقولبة على هذه الشاكلة دون أن يؤثر ذلك على المعنى.

د ـ الغرض بين الأرجوزة والقصيدة : الغرض هو النقطة الوحيدة التي لم يختلف فيها الرجز مع الشعر إطلاقا، فالمدح والرثاء، والهجاء، والوصف أهم أغراض الشاعر وكذلك الراجز على حد سواء. وقد مدح العجّاج ـ على سبيل المثال ـ «يزيد بن معاوية، والوليد بن عبد الملك من الخلفاء...»[16] وعرّض بمصعب بن الزبير حين غلبه عبد الملك بن مروان. وقال أبو النجم العجلي[17] يصف منجنيقا :

(13) رؤبة بن العجّاج / الديوان.
(14) دكين الراجز من مشاهر الرجاز المسلمين، مدح بهذه الأبيات عمر بن عبد العزيز.
(15) عزة حسن / مقدمة ديوان العجّاج ص 20.
(16) عزة حسن / مقدمة ديوان العجّاج ص 12.
(17) أبو النجم العجلي واسمه المفضل وقيل الفضل بن قدامة من رجاز الاسلام والفحول المقدمين، وفي الطبقة الأولى منهم وكان أبلغ في النعت من العجّاج.

كأنهـا حيـن تناهـى البَـاس جنيّـة في رأسهـا أمـواس
بِهَـا سكـون وبهـا شمّـاس يخـرج منها الحجر الكُبـاس
يمرّ لا يحبسه حبّـاس لا نافذ الطعن ولا ترّاس[18]

إلا أن المدح كان قد طغى على أغلب الأراجيز وعلى ألسنة الرجّاز وسنقف بعدئذ عن علّة ذلك.

2 ـ تاريخ الرّجز :

أ ـ الرّجز في الجاهلية :

يتعرض الأدب العربي إلى إشكال تاريخي ثان، فبعد أن تجادل مؤرخوا الأداب والدارسين في ما بينهم في أي النمطين التعبيريين أسبق لدى العرب الشعر أم النثر؟ نلاحظ أن الشعر في حدّ ذاته يبطن إشكالا ثانيا ألا وهو : هل الشعر أسبق أم الرّجز؟ من خلال تضارب الآراء التي سنوردها بعدئذ، إلا أن ذلك لا ينفي وجود الرجز في الجاهلية بل يقرّ أو يؤكد ذلك. وقد حصر قدامة ابن جعفر الرجز في بوتقة ضيقة حيث قال : «الراجز السّاقي الذي يستقي الماء، وكان الأصل في الأراجيز الذي يرتجز بها الساقي على دلوه إذا مدّها ثم أخذت الشعراء فيه فلحق بالقصيدة[19]. وأهمّ ما يمكن أن نستنتجه من هذا الرأي النقدي هو أن الرجز شعر مرتجل على أن القصيدة نظم مدوّن محكم الصيغة، في حين أن الرّجز من بديه القول نظرا لارتباطه بالأعمال اليومية (منح الماء مثلا). وَمِنْ ثمة يكون ـ أي الرجز ـ قد سار في الجاهلية في خط يتوازى وخط الشعر، لا فرق بينهما إلا اختصاص بعض العرب في الشعر، وانتشار الأراجيز على ألسنة الجميع. ويقابله رأي الجاحظ في هذا الموضوع : «وكل شيء للعرب فإنما هو بديهة وارتجال، وكأنه إلهام، وليس هناك معاناة ولا مكابدة ولا إجالة فكر واستعانة...»[20]. وكان يقصد بالارتجال «ما كان انهمارا وتدفقا لا يتوقف فيه قائله»[21].

(18) المبرد ـ الكامل ص 96 ج 2.
(19) قدامة بن جعفر / نقد الشعر ص 74.
(20) الجاحظ : البيان والتبيين ج 3 / ص 28.
(21) ابن رشيق ـ العمدة ج 1 ص 189.

ويتعارض رأي الجاحظ وقدامة مع ما ذهب إليه محمد بن سلّام الجمحي إذ أورد : «ان القصيد حديث الميلاء، وإنما قُصد الشعر على عهد هاشم بن عبد مناف أو عبد المطلب بن هاشم، وإنما كانت العرب تقول الأراجيز والأبيات اليسيرة فتحفظ ويتغنى بها»[22] ومن ثمة ينال الرَّجز رهان السّبق ليصبح أصل الشعر. الأرض الخصبة التي أنجبت مثل امرىء القيس، وزهير، وغيرهما من الفحول.

★ ارتباط الرَّجز بصنائع العرب وتنقلاتهم :

لما كان الرجز لغة التخاطب اليومية، ارتبط بأعمال العرب خاصة منها تلك التي يطول أمدها نوعا ما كمتح الماء على رأس البئر، أو عند التنقّل عبر الصحراء، أو أثناء الحروب،... «فما هو إلا أن يصرف وهمه إلى جملة المذهب وإلى العمود الذي إليه يقصد، فتأتيه المعاني أرسالا، وتنثال عليه الألفاظ انثيالا»[23] وخلا الرجز في الجاهلية من التراجز أي المعارضات، أو المقارعات اللسانية إن صحّ التعبير، فما أرّخ منها إلا ما جدّ في الاسلام أي بعد أن اتخذ الرّجز طابعه المميّز.

ب ـ الرّجز في الاسلام :

ستكون الديانة الاسلامية انقلابا فكريا جليّ الأثر بما أنها ستغير نظرة الناس إلى الشعر عامة. فالشعر قد شهد نكسة كادت تودي بمقوماته الأساسية. ولم يسترجع عرشه كديوان للعرب إلا بعد قرابة القرن ـ أي لما وعى العرب أن النظم وجدانهم وليس تاريخهم يتحول بتغير سلوكهم وعاداتهم وتقاليدهم... والرّجز الذي ارتبط أكثر من الشعر والنثر بحياتهم وأعمالهم وحروبهم سيشهد النكسة طبعا، ولكن سيتأثر بها أكثر من الشعر لأنه قد اندمج حتى في معتقداتهم : وكانت العرب إذا اعترضتهم الغول في الفيافي يرتجزون ويقولون :

يا رجل عنز انهقي نهيقا لن نترك السّبسب والطريقا[24]

(22) عبد الكريم النهشلي القيرواني / الممتع ص 33 تحقيق د. المنجي الكعبي.
(23) الجاحظ / البيان والتبيين ج 3 ص 28.
(24) المسعودي / مروج الذهب ـ المجلد الأول ص 465.

إلا أنه يستعيد بسرعة الشعر مكانته ويشهد المسلمون مراجزات ومدائح وصراعات هجائية يقودها بالأخص أمير الرّجز وابنه رؤبة، وينافسهما السيادة أبو النجم العجلي وأبو نخيلة وغيرهم... ويصبح مادة تلقّن للناشئة، وندًا للشعر، ووسيلة تكسّب و«نِعْم ما تعلمته العرب الأبيات يقدمها الرجل أمام حاجته، فيستنزل بها اللئيم، ويستعطف بها الكريم»[25].

وتمثل الحجاج بن يوسف ـ عندما قدم إلى العراق أميرا أثناء خطبته في الناس بالجامع ـ يرجز فقال بعد ساعة تطلّع فيها إلى الوجوه :

قد شمّرت عن ساقها فشدّوا وجدّت الحرب بكم فجدّوا
والقوس فيها وتـرٌ عُـرُدُّ مثل ذراع البكر أو أشدُّ
(لا بُدَّ مما ليس منـه بدُّ)[26]

وسأل المنتجع أحد الأشراف قال : «ما علّمت أولادك؟ فأجابه الفرائض، فقال المنتجِعُ : ذلك علم الموالي لا أبالك، علّمهم الرّجز فإنه يُهرّثُ أشداقهم»[27].

وتتناثر أخبار الرّجاز في الأغاني وتتعدد حتى ان هذه الصفحات أعجز من أن تلمّ بتفاصيلها. إلا أن تقديم الوليد بن عبد الملك العجاج وابنه على جرير الشاعر يُعدّ أهمها[28].

3 ـ نـهايـة الرّجـز :

إن الذروة التي بلغها الرجز تذكرنا بالشعر عموما في العصر العباسي، حتى إن أقطابه أصبحوا مرجع أهل اللغة[29] وأمسى رؤبة : «يقتدون به ويحتجون بشعره ويجعلونه إماما»[30] ومات هذا الأخير في أيام المنصور

(25) القول لعمر بن الخطاب / عن الممتع ص 33 لعبد الكريم النهشلي القيرواني.
(26) المبرّد / الكامل ج 1 ص 224.
(27) المبرّد / الكامل ج 1 ص 273-274.
(28) الأصفهاني / الأغاني ج 20 ص 351.
(29) انظر لسان العرب مثلا : ستجد جدّ الدعوم التي استعملها ابن منظور أراجيز.
(30) الأب انطون صالحاني اليسوعي / رنات المثالث والمثاني ج 1 / ط 7 / ص 302.

فَدَفَنَتْ العرب يومها «اللغة والفصاحة»[31] ولقد يبدو مصيبا الخليل بن أحمد في رأيه، والحال أن لغة العرب الأولى نكاد نجهلها اليوم تماما لولا ما حوته دفات ديواني العجاج ورُؤية اللذين عادا إلى الظهور كوثيقتين لا غنى لطالب اللغة عنهما وذلك سنة 1903 بعناية العلامة «وليم اهلوارد».

إلا أن تقابل الآراء في المنزلة التي يجب تنزيل الرجاز فيها عاد ليضرب هذا الشعر الضربة المبيدة. وتعد ألمع المواقف وأشدها تأثيرا موقف أبي العلاء المعرّي (ت 449 هـ) في رسالة الغفران حيث جعل جنّة الرُّجَز، بيوتها «بلا سُموق» وأردف وصفه بقوله على لسان ابن القارح : «إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفسافها، وان الرّجز لمن سفساف القريض...»[32]. هذا الموقف يبدو ـ رغم ما نعرفه عن أبي العلاء من شاعرية وحكمة قلّما اجتمعتا لدى أديب ـ يبدو مطنبا في ما ذهب إليه. وإطنابه هذا يتعارض تمام التعارض مع رأي يونس بن حبيب الذي قدّم الحجاج ورؤبة عن سائر الشعراء[33]. وإذا كان هذان الرأيان ينزعان ـ بصفة متعارضة ـ إلى التطرّف دون موضوعية فإن رأي المعرّي كان أشد تأثيرا وفاعلية : «وهذه النظرة هي التي جعلت ابن سلّام الجمحي يرتب العجاج وابنه رؤبة في الطبقة التاسعة من فحول الشعراء الاسلاميين مع الأغلب العجلي وأبي النجم»[34]. وقد تكون نظرة يونس بن حبيب هي التي جعلت أبا زيد الأنصاري يخصص الجزء الأكبر من كتابه للرّجز : «... إلا أننا أحصينا أبواب الكتاب فألفيناه ينقسم إلى 15 بابا اثنان خاصان بالشعر، وسبعة بالرّجز، وستة بالنوادر»[35].

هذه المقاييس أربك ميزانها الخلط الواضح بين الشعر ـ أي القصيدة ـ والرّجز، فإن نبحث عن منزلة العجاج مثلا بين الشعراء عامة يعني أننا لا

(31) كان ذلك موقف الخليل بن أحمد من رؤبة. الأغاني ج.20 ص 350.
(32) المعري / رسالة الغفران ص 374-375 تحقيق د. عائشة عبد الرحمن.
(33) الأغاني ج 21 ص 60.
(34) د. عزة حسن / مقدمة ديوان الحجاج ص 21.
(35) مقدمة كتاب النوادر في اللغة ص 71 لأبي زيد الأنصاري / تحقيق الدكتور محمد عبد القادر أحمد.

نفرّق إطلاقا بين الرّجز والشعر، وما جعل الرّجز لا يحضى بالمنزلة التي يحتاجها كمبحث يفرده ما ينفرد به من مميزات، هو ما ساد من آراء عفوية أو مقصودة لغاية ذاتية، مثلما هو الشأن بالنسبة لمن سموا الرّجز (في علم العروض) «حمار الشعراء»، وبالنسبة لمن تناقلوها دون إعطائها حق مفهومها ودلالتها... حتى بلغت مسامعنا.

ولتفنيد هذا الاسفاف لا يفوت القارىء ما سِيق سلفا من موقف الخليل بن أحمد من رؤبة، وهذا الأخير من متقدّمي الرّجاز. وأبلغ من ذلك، ليس الحمار إلا وسيلة نقل، وما الرّجز والعروض عامة إلا وسيلة تنقل التعابير عَبْرَهُ بإيقاع معين يكسبها فرادة الحمار بين الحيوانات الناقلة الأخرى. فما البحث ـ إذن ـ عن مكانة لحمار بين خيل عدّاءة ـ إذا صحّ أن الرّجز كان مطيّة المهلهلين ـ إلا من الانطباعية التي طالما أرهقت الأدب ولا تزال. وإذا كان لا مفرّ من إعطاء الرّجاز مكانة أدبية بين الأدباء عامة، أو بالأحرى بين الشعراء، فالعجّاج ورؤبة يعدّان أقطاب الرّجز يتلوهما أبو النجم العجلي، وأبو نُخيلة، إذا حقّ للرّجز الانفصال عن الشعر دون نفي لمعانيه الأدبية. وبذلك يتخلص الشعر من ناحية أخرى مما قد يشين تبويب قائليه بدسّ الرجاز بين صفوفهم.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتبقى هذه المحاولة مجرّد استعراض تمهيدي للاشكال ما لم تلمّ بكل جوانب البحث، هذا النمط الأدبي الذي بلغت أفانينه تقريبا مجمل اهتمامات العرب وقضاياهم... خاصة وأن الرجز قد حقّق قفزة عملاقة وطغى على الشعر الذي بدأ مسيرته نحو الركود إثر تهلهل دولة بني العباس وعودة الخطر المحدّق ببلاد العرب المترامية من أغلب جوانبها... ففي العصر الأيوبي أي في عهد حكم الأيوبيين بأرض مصر والشام واليمن (567-648هـ) تكاثر الرجاز وطالت الأراجيز وكادت تنحصر في المدح الذي أوجبه تعظيم العرب الذين ألفوا السكينة والاستقرار، لصلاح الدين يوسف بن أيوب ـ مؤسس الدولة الأيوبية وآله ـ لما أبدوه من صُنوف البطولية في دَحْرهم للتمرّد الصليبي... ولعل العالم النحوي المشهور محمّد بن عبد الله بن مالك يعدّ أشهر رجّاز العهد الأيّوبي من خلال كتابه الذي ألفه

إلى الملك الناصر يوسف بن الملك العزيز عثمان صاحب حَلَب (ت 659هـ) وعنوانه : «إكمال الأعلام بتثليث الكلام وهو (مجرّد) أرجوزة عدّتها تقريبا 2755»[36] وأولها :

اتّباع حمد الملك الوهاب صلاته على الرضا الأوّاب
محمد وآله الأنجاب به ابتهاج النطق والكتاب[37]

وما ايثار الرّجز من طرف هذا النحوي اللامع إلا دليل على شيوعه من جديد إثر الصفعة التي وجهها له حكيم المعرّة.



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(36) مجلة المورد / المجلد 17 عدد 3 / المجالس الأدبية في عصر صلاح الدين الأيوبي : د. ناظم رشيد / طبع الكتاب سنة 1984.

(37) المرجع السابق.



نحو وعي جديد بالبيئة

الاستاذ : عبد الكريم الوسلاتي

خلال المليون سنة الأخيرة التي يُقدّر بها العلماء الحقبة الرابعة من الحقبات الجيولوجية انتهى وجه الأرض إلى الشكل الذي نراه عليه اليوم مهّد إلى وثبة جبّارة للحياة لم يكن لها مثيل ففي المائة سنة الأخيرة حقق العلم قفزة نوعية جعلت الانسان في سنام السلم الوجودي وفي أسفله على حد السواء على حساب الافراط في استغلال البيئة وتلويثها (مياه، هواء، تقلص المساحات الخضراء، تآكل طبقة الأوزون على مستوى القطب الجنوبي)، نتيجة الازدهار التكنولوجي والتجارب النووية ونفايات المصانع الضخمة وغازات السيارات ودخان وسائل التدفئة الفحميّة،،، فلم يعد الحديث عن خطر الكوارث وسائل الايكولوجيّة من باب التسلية والتماهي بقدر ما أصبح من أوكد القضايا المطروحة على الضمير العالمي بعد تعامي أصحاب المناهج التغييرية عن إدراك حقيقة التفريق بين الجوهر الانساني الأصيل وعلاقته العرضية بالعالم الخارجي فساووهما في التعامل وألحق بحركة التوازن الحضاري أضرارا كبيرة فسببوا لها إنحرافات خطيرة ترجع في تقديرنا إلى إغفال منهج جامع بين ما يؤكده العلم وما تبيّنه الفلسفة على شكل قوّة، وما يقرّه الدين من حقائق ن ذات الكائن وعلاقتها مع هذا الكل الكوني المتناغم لأن «كل حقيقة لا تؤثر على الثالوث الاجتماعي : الاشخاص، والافكار والأشياء هي حقيقة ميتة»[1]. على حد تعبير مالك بن بني.

(1) ميلاد مجتمع مالك بن نبي، ص 94.

لكن يطرح السؤال نفسه هل اتجهت همّة الانسان إلى البحث عن الحلول الملائمة لهذه الكارثة التي إزداد الانشغال بها يوما بعد يوم وتداولتها الافواه تحت تسميات مختلفة : «البيئة» «والتوازن ضمن البيئة» «الحفاظ على البيئة» ؟. وهل تستمرّ الحياة على كوكبنا الأرضي إذا تواصل التلوث على هذا النسق إن لم نقل على نسق أسرع ؟.

لقد سقط الخيار القائل بأن الازدهار التكنولوجي كفيل وحده بدرء الكوارث البيئية أو بالقضاء على أوجه الاختلال الوظيفي الذي يهدّد الكوكب الأرضي ونطاقه الحيوي، فالتكنولوجيا أصبحت همّا يؤرق الكائن الانساني في كل لحظة من لحظات انبثاق الوعي بذاته وبذوات الأشياء (نبات، حيوان، انهار ومحيطات، جو، غذاء، صحّة). وهذا الوعي الايكولوجي ارتبط بصورة حديثة بالحسّ الرّومانسي الطبيعي الذي كان ينظر إليه على أنه دعوة طوباوية تناقض المعطى العقلي والمعطى التقدمي، هذا الحسّ نشأ وينشأ ويتنامى في المدن والمناطق الحضرية. حيث تتفاقم سطوة التقنية ورتابة الآلة ...

أسفر في الفترة ما بين 1969-1972 عن نبوءات بالغة الخطورة والتشاؤم مفادها أن معادلة ارتباط التقدّم بالتكنولوجيا والصناعة تسير بنا نحو كارثة. «لا تحيق فقط بالوسط البيئي وإنما بالبشرية أيضا»[2]. وهي لعمري رؤية في محاولة لاستشراف مستقبل الانسان والحياة على وجه الأرض، وبإزاء هذه التنبؤات التي تزداد تأكدا يوما بعد يوم تنامى الوعي الايكولوجي واتخذت تدابير قانونية وتقنية على المستوى الاقليمي والقاري والاممي للحد من الاخطار المهددة للبيئة وهي تدابير ـ في نظرنا ـ لا تتجاوز حدود الابتسار والتطمين والتأجيل بالكارثة الى حين، لعل حادثة تشرنوبيل أكثرها ايلاما للبشرية، فاجعة نووية تدق أجراس الخطر وتحذّر مما يتهدد النطاق الحيوي ... وللحدّ من خطورة تنامي الخطر على البيئة ظهرت أحزاب سياسية في أوروبا الغربية تنادي بضرورة الحفاظ على البيئة والسلم كحزب الخضر بألمانيا الغربية وبلجيكا، وإعادة مفهوم النسق البيئي والبيئة لاحتلال مكانهما في وعينا الانثروبولوجي والاجتماعي. ورغم ذلك ومع تفاقم الهوّة

(2) لوموند ديبلوماتيك «نحو وعي جديد بكوكبنا الارضي» أكتوبر ـ نوفمبر.

السحيقة بين الدول الصناعية العظمى والدول الفقيرة أو ما يسمى تجوّزا بدول العالم الثالث. أصبحت هذه الأخيرة «صناديق للقمامة» والنفايات السامّة. 6 ملايين طن في غينيا بيساو و 15 طنا بالبينين وطن واحد في الكونغو ونصف طن بدجيبوتي،،، مقابل إغراءات مالية خيالية. وعقد لهذا الغرض اتفاقية عالمية في 22 مارس 1989 ببال بسويسرا تقضي بتوفير أسباب مراقبة النفايات السامّة عبر الحدود تنطوي على ثغرات ستستغلها الدول الغنية غير مبالية بأي منطق أيكولوجي لاستبعاد هذه الاتفاقية. النفايات الاشعاعية من مجال تطبيقها بحجة أن الوكالة الدولية للطاقة الذرية هي التي تملك تقرير مصير هذه النفايات. وقد صرّح «ريمون شاسل» رئيس سفراء دول افريقيا والكراييبي والمحيط الهادي في بروكسيل فيما يتعلق بهذه الاتفاقية «فيما يتعلق باتفاقية بال لم يكن بمقدورنا الاعتراض على تعزيز المراقبة ولا حتى على انشاء شكل جديد من أشكال مراقبة حركات النفايات السامة[3].

لقد بدت الحياة على الأرض لا تسير وفقا لاحلام عالم البيئة المثالية وكان العالم ينظر إلى الانسان كأحد الأنواع الحيوانية التي تعيش وتخضع لتوازنات البيئة غير أن الواقع يثبت عكس ذلك لأن الجيش البشري فئة من الحيوانات الذكيّة التي تمكّنت من تعديل التوازن البيئي الذي كان سائدا من ملايين السنين. غير أن هذا التعديل بلغ حدّ الانقلاب في الاتجاه السلبي حيث تهدّد نفايات المصانع بتسميم جو الأرض فخُرقت طبقة الأوزون الشفافة على مستوى الغلاف الجوي الذي يحمينا من الاشعاعات تحت الحمراء Rayons Infra-rouge التي تهدّد بنفاذها إلى المحيط الجوي الأرضي. واضطراب الفصول والزيادة في درجات الحرارة فإذا تغافل المجتمع العالمي هذه المسألة فإن خطر التعجيل بتقلص مظاهر الحياة سيكون المصير الحتمي لكوكبنا. وبعد أن تحولت معظم انهار أوروبا واليابان إلى مجار لتصريف النفايات الصناعية فإن خبراء الايكولوجيا يتوقعون تحول البحر الأبيض المتوسط إلى بحر ميت في العقود القادمة. خصوصا مع تزايد كمية الاشعاع

(3) نفسه مقال «تحت تهديد النفايات السامة : لأن مالد مايسشالك 1989.

الذري في جو الأرض وباطنها وأن مساحة الصحراء والأراضي غير القابلة للزراعة قد ازدادت بمقدار 1,5 مليار هكتار خلال السبعين سنة الماضية وستزداد نتيجة عدم رعايتها والافراط المستمر في استعمال المبيدات والسموم الكيميائية لمقاومة الاعشاب الطفيلية والحشرات الضارة.

ان شرط إدراك هذه التناقضات الواقعية والسيطرة عليها هو ادراك الوعي لتناقضاته ذاته والاعتراف بها وإدارتها حتى لا يتحول إلى وعي تجديد الاستلاب والاستمرار فيه. فكوكبنا الارضي بما يحويه من عالم الحشرات 25 ألف نوع و 500 ألف نوع من الحيوان و 300 ألف نوع نباتي تتشابك تشابكا هائلا في مجموعة نحن جزء منها كانت إلى وقت غير بعيد تحقق التوازن البيئي في اطار التناغم الذي يخدم حقيقة الانسان المستخلف في هذه الأرض «إنا عرضنا الامانة على السماوات والأرض والجبال فأَبَيْنَ أن تحملنها واشفقن منها وحملها الانسان» إلا أن الانسان أخل بهذا التوازن وانحرف عن هذه الامانة مفرطا في استغلال الطبيعة استغلالا كانت له انعكاسات خطيرة على الانسان والحياة عموما.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فكان لا بدّ من اتخاذ اجراءات تحمي المحيط الحيواني والنباتي بتجنب الكيميائيات في الاستعمالات الزراعية وتسخير الحشرات لابادة الاعشاب الضارة فعلى سبيل المثال كان أحد هذه الاعشاب الضارة يُغطّي 60 مليون فدّانًا في استراليا في وقت ما ثم اكتشف عفن في الارجنتين يستطيع أن يبيد ذلك العشب فاستخدم في استراليا وقضى على ذلك العشب خلال 10 سنوات[4] لأن انبثاق الحياة من الموت والموت من الحياة قانون الوجود. وكأن الأنساق البيئيّة نوع من «أجهزة الكومبيوتر الفطرية» على هذا الأساس لا بدّ من تنمية وازدهار علوم الأرض بتكثيف الغابات باعتبارها الرّئة الطبيعية لتحقيق التوازن بما تعطيه من كميات هائلة من الأوكسيجين (15 طنا من الأوكسيجين لكل هكتار نباتي سنويا).

(4) السباق بين الانسان والطعام، ص 51، شارل جوي، ترجمة محمد الشحّات.

وقد كشفت لنا فكرة جايا تصورا جديدا للأرض بعد دخول الأرض عصر العلوم النسقية المتكاملة (علم المناخ، علم الارصاد الجوية، علم البراكين، علم الزلازل، علم الجيولوجيا،،،) فأمكن تصور كوكب الأرض ككائن حيّ لا بالمعنى البيولوجي ولكن بمعنى التنظيم الذاتي والضبط الذاتي الذي يميز كائنا له تاريخه يتشكل ويتحول محافظا على ذاتيته في الوقت نفسه فإذا بكوكبنا الضئيل لا يزيد عن كونه بيتنا وأمنا التي أخرجتنا من رحمها. فلا بدّ أن نوجه اهتمامنا إلى صيانتها وانقاذها مما يتهددها من مظاهر الدمار والتلوث حتى نتمكن في ظلّها من التناغم فتلتقي في نفوسنا شتى الحقائق العلمية والانسانية والايمانية والاخلاقية. وتتحقق انسانيتنا في ظلها الوارف.

تدارك :

حدث ان سقطت بعض جمل من موضوع : كلمات منثورة للاستاذ البشير المجدوب، ومع الاعتذار لاستاذنا الفاضل ولقرائنا الكرام، نعيد نشر الفقرتين اللتين كانتا موضعا للخلل المشار إليه.

ليس الأدب مُتَنَفَّسا للأديب فحسب، ولا هو مجرّد تعبير عن الذات وإثبات لها يعطيها حقّ الوجود تبريرا لها وتأصيلا، لعل خير ما في الأدب أنه لا امتلاك للوجود ولا اكتمال للكيان إلّا به. فكأنّك وقد فاتك الخلق الأوّل، تصنع ذاتك ثانيا، أو تُتمّها إنشاء قد اختصصت به لا شريك ذلك فيه.

* * *

مشهدان ...

ذاك الذي يُدير كوب الشّاي بين يديه، والبرد شديد، ملتمسا الدّفء، وكأنه يداعب قطّا أو يجسّ فَرْوًا ...

وتلك العجوز الوادعة الآمنة، وقد حطّت الشّمس على حضنها، فإذا هي تمدّ يديها وتفركهما تصطلي بالنّور.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يتعمَّدُ الكلَامُ الجُلوسَ... حَيًّا...

شعر : **محيي الدّين الشارني**

أشكُ أنّ التراب رآكِ...
أشكُ أنّ الطّريق رآكِ...
أشكُ... أنّ المكانَ كَثيرٌ...
وَلَكِنَّهُ وَحيدُ الغيابِ...
أشكُ...
وهذهِ الأرضُ تَشْكُو من مُحيًّا نَمِي...
أشكُ... في هذا الصّمتِ المائل على أكتافنا...
... في هذا الموتِ الّذِي يجيء ولا يجيءُ إلا لينجو بنفسه...
من هياكلنا...
أشكُ في الماء... في الأرضِ... وفي هذا الحب الذي يضربني بسندسِه...
... / ويرسلُ إلي ساعة للحزنِ...
أصَدِّقُكَ أيّها الحبُّ... أصدّقُكْ...
ساعة للحزن أو / ساعة للبحرِ...
وأقولُ...
سأبكي عليكَ يَا حبيبي... سأبكي عليكَ يا حبيبي...
سأبكي عليكَ يَا حبيبي...
وأدخل وجهي كيْ لا يعرفني أحدْ...
سأبكي عليكَ يَا حبيبي...
وأحكُ وجهي بأطرافِ حُزْنكَ...
أو بأطْراف حُزْنِكَ يجيء الحلمُ الهاربُ من يدي...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مشكلة الحداثة والشيخ محمد الخضر حسين

كتاب الحرية : بقلم الاستاذ : **محمد بن الأصفر**

صدر عن منشورات الحرية الكتاب الرابع متضمنا دراسة بعنوان : «**تونس : 67 عاما تحت الاحتلال الفرنساوي**» وهي للشيخ **محمد الخضر حسين** أو بالأحرى وعلى وجه التدقيق **محمد الأخضر بن الشيخ الحسين بن الشيخ علي بن عمر الشريف** كان نشرها في نطاق نشاط **جبهة الدفاع عن شمال افريقيا بالقاهرة** والمعلوم انها قد سبقت مكتب المغرب العربي والقارىء لكتاب الاستاذ الرشيد ادريس الخاص بذكرياته عن المكتب الأخير بقدر ما يلاحظ عدم وقوع التواصل في عمل الهيئتين بقدر ما يحس استلطاف الكاتب للشيخ الخضر بالذات ... وقد حقق وقدم هذا الكتاب السيد **كمال العريف** وهو من جيل السيد محمد علي بن الحولة من صحفي الاذاعة المولعين بالبحث ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واذا كان الكتاب يقع في 121 صفحة من القطع الصغير (كتاب الجيب) فان عمل السيد كمال العريف قد احتل 70 صفحة منها أي قرابة الثلثين ...

1) **المقدمة** : اشتملت المقدمة بعد كلمة الناشر على تعريف بالشيخ الخضر وبحياته الخاصة والعلمية والنضالية (1876-1958) ... ثم تعرضت المقدمة إلى مؤلفاته ويكفي أن نقول ان هذه الفقرة احتلت كل الصفحات من 18 إلى 46 وهي **بيبليوغرافية** وليست تحليلية أو حتى عَرْضِية ... وفي المقدمة أيضا بعض الوثائق وهي : 1) مذكرة سلمتها هيئة

النظارة العلمية بجامع الزيتونة إلى الوزير الأكبر سنتعرض لها فيما بعد، 2) محضر الجلسة المتضمن لنجاح الشيخ في خطة مدرس من الطبقة الثانية بالجامع المعمور، و 3) تهنئة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور بقصيد بمناسبة توليه القضاء المالكي ويليها نقل القصيد إلى اللغة الفرنسية من طرف مصالح الأمن الفرنسي، و 4) خطاب الشيخ الخضر في حفل تدشين جامع برلين، و 5) تقريران صادران على السلط الأمنية الفرنسية ... 6) أمر مصادرة (حجر) أملاك الشيخ الخضر بتونس.

2) **التحقيق** : فيما عدا ملاحظة متصلة بالتقرير (المشين) الذي رفعه مشائخ هيئة النظارة الى الوزير الأكبر طالبين منع توزيع الصحف النهضوية أو اخضاعها لرقابتهم كهيئة نظارة علمية مستندين إلى الأمر المؤرخ في 28 ذي القعدة 1292 رغم عدم انطابقه لأنه يهم تأليف الطلبة لا الصحافة بحيث لاحظ السيد كمال العريف انه يرجح ان من بين الموقعين على هذه العريضة شيوخ الحنفية المدرسون في الطبقة الأولى محمد بلخوجة والشاذلي بلقاضي (وهو يقصد : الشيخ ـ لافاندي ـ لانه هناك تكرار لاسم الشاذلي في عائلة بلقاضي من بين المشائخ) والشاذلي بن مراد وحميدة بن مراد واسماعيل الصفايحي.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهنا نتساءل لماذا استعمل المحقق لفظ (يرجح) مع ان اليقين ممكن بالرجوع إلى الأرشيف هذا وان النظارة العلمية للجامع الأعظم لعام 1904 يمكن معرفة اعضائها بمجرد الاطلاع على بعض التقويمات من نوع النزهة الخيرية للشيخ لاظ أوغلو (لازعلي) أو الرزنامة التونسية للجنرال محمد بالخوجة وهي تقويمات كانت رائجة ولم يعد لها مثيل اليوم ... وفيما عدا هذه الملاحظة ليس هناك ما يمكن ان يعتبر تحقيقا ! الا بقدر المقارنة بين النسختين المعتمدتين.

3) الاشكالية : الشيخ والحداثة

لقد سبق ان درس الدارسون آثار الشيخ الخضر فلا ادعي اني سأضيف شيئا خاصة وقد أعد الدكتور محمد مواعدة عملا أكاديميا عن حياته وآثاره ...

وبما ان اشكالية الحداثة قائمة اليوم فقد بدا لي ان اتعرض لها من خلال مدى استيعاب الحداثة من طرف عينة لمثقف تونسي أصيل بارز لان الزيتوني يبقى هو النموذج الأصيل للمثقف التونسي وهو الذي عرّف بالثقافة التونسية من ابن خلدون إلى الطاهر ابن عاشور ولو ان الأول من فرسان المعقول وان الثاني قد منهج المنقول بأدوات المعقول واما بقية المدارس الثقافية التونسية بما فيها الصادقية هي روافد فكرية يعتز بها.

فيتحدث الشيخ الخضر في فقرة (تونس قبل الاحتلال) فلا يخفي اعتزازه بعدة انجازات فهو مع استقلال البلاد التونسية نسبيا عن الباب العالي الذي كان يمثل الخلافة والامامة (صفحة 78) حيث يقول : «اتجه (يقصد أحمد باشا باي) إلى ان تكون الحكومة التونسية حكومة عربية اسلامية يربطها بالدولة العثمانية الاعتراف بسيادتها ...» كما يقول عن أحمد باي دائما (حوّل المراسلة بينه وبين الدولة العثمانية من اللغة التركية إلى اللغة العربية) ... وأنشأ **مدرسة باردو الحربية** واستدعى لها معلمين من ابرع ضباط أوروبا ... ثم يتحدث عن الباي محمد فيقول : «وضع لسياسة الحكومة دستورا سمي لذلك العهد **عهد الأمان** وقريء في حفل عظيم حضره أعيان الأمة وعلماؤها ... وأقسم الملك (يقصد الباي وهو في الحقيقة ليس ملكا) على انه يعمل بهذا القانون ويجري في سياسة الحكومة على مقتضاه» فإلى جانب نبرة الاعتزاز بهذه المنجزات التحديثية نرى الشيخ الخضر يعدد الفصول الاثنى عشر لعهد الأمان ... وفي ذلك تبن لإعفاء الذمي من أداء الجزية لأن الفصل الأول يقول : يؤكد على أن اختلاف الأديان ليس سببا في عدم التمتع بالأمان والفصل الثاني يجعل من الأمان تساوي الناس في الأداء المرتب وافتراضي (النظري) يتدعم بما جاء في الما الرابعة من ان للذمّي ما لنا (المسلمون) وما علينا أي التساوي في الحقوق والواجبات ... وعلى نفس الوتيرة نرى الشيخ الخضر يهلل لأحداث المنجزات العصرية من مجلس بلدي (ص 81) وطباعة (ص 81) ... وبرلمان (صفحة 82) وما يعنيه البرلمان من مصادر تشريع موازية لمصادر التشريع الاسلامي ... والمعهد الصادقي (820) وقد عبر عن كل تلك الانجازات بما يلي : «... ... تونس ... أخذت منذ عهد المشير أحمد باشا باي تسير سير الأمم المتيقظة وانها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قطعت في اصلاح شؤونها السياسية والعسكرية والعلمية والعمرانية شوطا يشهد بانها تستطيع القيام بواجبات استقلالها بنفسها ...» ولان كان الشيخ الخضر يقصد بصريح العبارة الاستقلال ازاء فرنسا «وانها ليست في حاجة إلى ما يسمونه حماية» فلسان حاله يدل انه يرمي أيضا إلى الاستقلال ازاء تركيا وارجو الا أكون متعسفا في هذا الاستنتاج ...

هذا الشيخ نفسه نجد له في مرحلته «القاهرية» مواقف علمية أخرى تبدو متناقضة فهو قد وضع كتابا ردا على عبد الرازق بعنوان **نقض كتاب الاسلام وأصول الحكم** (صفحة 14) كما وضع كتابا رد فيه على طه حسين **نقض كتاب في الشعر الجاهلي** ...؟!

اني قد سقت بجذر لفظ (التناقض) باستعمالي عبارة (مواقف علمية أخرى تبدو متناقضة) ... لأن الحكم لا يكون الا بدراسة مستوفية على شاكلة دراسات الدكتور محمد عمارة للأعمال الكاملة لمحمد عبده وغيره ... وانطلاقا مما يبدو تضاربا يمكن دراسة مفهوم الحداثة عند مثقفينا الأصيلين الذين يصلحون كعينة للمثقف التونسي ومنهم الشيخ محمد الخضر حسين ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذه احدى الاشكاليات التي أسالت الحبر وما تزال لانها لم تحسم او لم تقترب من الحسم لانه لا حسم في الانسانيات الا بانتهاء الانسانية.

الاستاذ محمد بن الأصفر



شعر :
السّعيدي المنصوري

قصائِـذ

(1)

الآن
والرّيح الحزينة
تلطم وجهي الحزين
أحلم بمدرج من السّواعد المفتولة
والقامات المنتصبة
لأرتقي إلى السّماء
وأعرف أين ؟
أين تذهب صلاتنا ؟
ربّما أجدها
قرب دعوات من سبقونا
بالانتظار
بالتأنّي والتمنّي
والتسلّي بآخر الأخبار

(2)

كيف أمشي ودعائي في دياجير
الظّلام / ركام
كيف أمشي سَائِحًا فِي جَسَدِ الغُرَابْ
وآمالي في صدري مرايا تتكسّرْ
هي ذي أحزاني تنمو
ها هي تنمو وتكبر.

★ ★ ★

(3)

لست أدري
كيف أمشي نحو نفسي
كيف أمضي نحو حبري نحو فكري
كيف أبتاع حياتي من رفاتي
كيف أجتاح بقاعي بصراعي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

طحالب الزّعتر...

شعر : منصف العايب ـ بني خداش

للتجاعيد الجديدة
رحلة المبتدى
والقصيدة
جنون هنا المطر القادم كالجرح
صوتا يُطوق، موتا يورق
حلما تهدهده الشهوة في الجنون
لم يتوجني خرير المياه باللذة المقبلة
والسؤال الخراب في جسدي الموتُ
قال : نجوتُ...
والذكريات لحظة تبعثرها الريح
والذكريات رحيل المناديل في قطرات
النّدى
والمدى...
آن التحامنا الآن
لم تبق إلا الشفاه لتمتص آخر
الاعتراف
لتنثر آخر وجع يُتوّجني في النقطة
الغارقة

★ ★ ★

من هنا تبدأ التصفية
والقصيدة تزدحم بالخفافيش
يالمرأة لم أكتشفها ولم أشتهيها
إنن الرّوح في الحلق
في أن أعود
أو أحمل آخر الاعتراف وأرحل في عنف
من الجيفة الظاهرة...!!!

★ ★ ★

حلم قصيدتنا كالمطر
والضباب مواويل شوق الحقائق
أقتلي زبد الموج في كفّي قبل
الفجيعة / قبل القطيعة
إني احتراق البنفسج، إني تجاعيد
هذا التراب القديم، وزيتون
هذي العروق...
أنشتهيك كأورة المبتدى والفناء
لن تحتليكِ البنوكُ قُبيل الخطيئة
كان موتي بياض الورق والكفن

★ ★ ★

وكان البياض آخر طير تضمه المقبرة
تحتويه الملاك.
من تجاعيدكِ والقهوة الساخنة
تشتهيك دورة الأرض وأنشودة
البحر. عشق الورد
من الزغب الطائر. يمتطيكِ المطر
يحتليكِ الغمامُ وأشياء أخ...رى
لكِ الآن ثورة نفسي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أعْرِفُهُ الورق القادم للاعتراف
فلي الاحـتـراق
أو أعـتَـرِفْ...

★ ★ ★

للزّعتر المُرّ تحلو البوادِيَ
في قبضة القوقـعـة
وتسافر أصواتكِ الآتية للجنون
أمارس فيكِ جنوني... فكوني
وللكونِ والزعتر الحنضلي رش السماء
ورفرفة الحلم بين كوم التّراب

★ ★ ★

... والتجاعـيـد
من حقي أن أحتليكِ وأن أشتهيك
ومن حقّي أن أعصر ألمي وأتوجني
بالسؤال الجـديـد
قبيل أن... أتطفل على بكارتك
النّاضجـة
لي القهوة والحليب
لِيَ السكّر المُرُّ وزيتونة المبتدي
فلا أحد اليوم يعلم باحتفاليَ
غـيـري
ولك أن أن تُحضري أجمل الاجمرار
ومنديـلـك الأبـيـض
ولنحتفل... بعد قليل
بطقطقة السّندان على المطرقة!!...
.....

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اطلالة على تاريخ قليبية على العهد الحسيني

الباشا علي يعزل شاوش القبجية من حراسة قليبية

في القرن 12 هـ و 18 م

بقلم : محمد الصادق (رشيد) عبد اللطيف

في مطلع القرن 18 توطّدت العلاقة بين قليبية ومؤسس الدولة الحسينية (حسين بن علي) الذي كان يعتبرها نقطة دفاعية بحرية على غاية من الأهمية، وكان يظهر لأهلها الاحترام والود، مما جعلها تناصره وتؤيده كرمز للسلطة ولأن الباي حسين كان يستعين بالأعيان فأشركهم على نطاق واسع في استغلال موارد البلاد فتكونت على عهده عائلات من (اللزّامة) وأسر من الوكلاء يديرون أملاك (البايليك)(1) وهذا التشجيع العاطفي جرّ لها متاعب اقتصادية وسياسية وأمنية وعلمية.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نلمس ذلك جليا حين وقعت الوحشة بين حسين بن علي وابن أخيه علي باشا وانحياز قليبية الى الأول وحين ثار علي باشا (باي المحال في فيفري 1728) جر وراءه كل الناقمين في البلاد (قسما من الطبقة الحاكمة ومن أعيان تونس، وحين انتصر كان يحكم البلاد بصرامة بعد أن اغتصب العرش بقوة السلاح ولما سيطر على الوضع واستبله الأمر كان يصدر الاحكام الدموية ويهدم المدن ويعزل الموظفين وما فعله مع أصحاب عمه من شنق وعزل وصلب على السور وقطع الرأس يخفف من تهمة الجبن وحتى الذين أيدوه في ثورته لم يسلموا كلهم من بطشه(2).

(1) صفحة 53 من كتاب تاريخ تونس لمحمد الهادي الشريف.

(2) صفحة 25 من كتاب الوراثة على العرش الحسيني لمحمد الصالح مزالي.

سلّط اذا نقمته على كل من يشتم عنه رائحة (الحسيني) وقد نال قليبية في بعض رجالاتها واهلها، حيث سام سكانها من العذاب الوانا وحرمهم الأمن والأمان وعزل منهم كل مسؤول خاصة من كان في موقع حساس (عالم كبير، حارس البرجع، آغا الطبجية (المدفعية) شيخ الدوّار) وكانت المراسلات تترى على شيخ البلد (الحاج محمد صمود أوفا باشي) لمراقبة كل حركة مشبوهة واعلام القصر الملكي بما يجدّ من مواقف يشتم عنها الولاء للغير، الا أن هاجس الخوف على مركز الحكم أملى على الباشا علي بأن يعزل عالم قليبية وفقيهها الشيخ قاسم الزواري من قضاء باردو نكاية به وببلده وتحجيم رأسها في شخص عالمها ثم يمدّ يده للمسؤول عن البرج وينكل بعائلته وهي العائلة المعروفة لدى البايات بالصرامة والجد والحزم والثقة والامان وتدرجّها في الرتب العسكرية، والامر أو المراسلة الملكية، تفضح تخوفات الباشا علي من أهالي قليبية فيقرر عزل أحدهم حسب (نصّ الأمر).

أمرنا هذا الى السيد الحاج محمد صمود أوصا باشي أن حزيجي قبجي[3] القوم الذي كانوا يخدم في برج قليبية ورفعنا ايديهم على الخدمة وجعلنا قبجية جدد عوضهم واشتكوا لنا القو، ازاء شتمهم طلبوهم في الاداء وحكمنا انهم ما يلزم غيرهم يلزم عروشهم ولا سبيل لهم عليهم ولا يطرقهم منهم احز من اخواتهم بشيء لا منهم مخازنية على هذا يكون العمل والسلام من الفقر الى ربه تعالى الباشا علي وفقه الله آمين في أول محرم سنة 1161 هـ (كما نرى في تحرير هذا الأمر المستوى العلمي الذي كان عليه القوم يومها).

ثم واصل مضايقة السكان في معيشهم وضيق عليهم الخناق وحكم فيهم السيف حتى ضجوا وطلبوا العفو وقبلوا الولاية واظهروا له ولاسرته الطاعة والولاء عندها خفف عنهم الحصار الأمني والاقتصادي غير ان وضعا دمويا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(3) لقب القبجي مأخوذ من التركية (قبوجي) تنطق قبودجي أو قِبجي وتنطق قِيدجي) بمعنى بوّاب. حاجب، في الجزائر كانت تستعمل بمعنى مبعوث السلطان الى داي الجزائر عون الشرطة الكلمة اذا تركية يبدو أنها تطلق على نوع من أعوان الادارة وكان بتونس بدربية الباي (أي المحكمة) شاوش يدعى (شاوش القبجية) حسبما ذكره ابن أبي الضياف في الاتحاف ج 3، ص 160.

كهذا لن يعمر طويلا حتى اذا قتل الباشا علي عادت الطمأنينة لأهالي قليبية وأقبلوا بجدّ على تنشيط حياتهم ودفعهم الحركة الاقتصادية والعمرانية وطيّ صفحة الماضي بكل ما فيه من دما ودموع وتلك هي نهاية الحكم المطلق كما يقول ابن أبي الضياف.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التعاليق :

قائد البرجع كان يشارك حاكم المدينة في تسيير شؤون المدينة وتهريف شؤون أهلها وحمايتها وحراستها.

آغا البرج (القائد) معه حامية عسكرية بها قائد الطبجية (مدفعية) وهي يجني الاداءات المالية للحكومة ويدفعها لها.

الحاكم العسكري بالبرج يشمل نظره (حامية مدينة قليبية) وحراستها ليلا ونهارا وله تسخير من يشاء (شيخ البلد، شيخ الدور) يقوم بهذه المهمة.

مذكرات الشيخ الاستاذ :

محمد كامل التونسي

المحاورة الثانية

كيف نشأت الطرق ؟

إعداد : **عبد الرّؤوف الخنيسي**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كان الخلفاء في الصدر الأول يقدرون العلم والعلماء ويتذوقون الأدب ويشاركون الادباء ويفهمون العلم ويعطونه حقه في مقومات الحياة وقد حكى لنا التاريخ أن بعض الخلفاء جلس أمام مالك وأخذ عنه العلم مع غيره دون ميزة تميزه عن الناس. ونحن نعلم عصر المأمون وحاشية المأمون وما كان للعمل من قيمة في مجالسه وكم افرغ الخلفاء بيت المال للشعراء والعلماء وكم أوصل العلم اصحابه إلى الوزارات والمقامات الرفيعة. ومن القاضي يحيى ومن ابن الزيات ومن ابن أبي داود لولا العلم والأدب. مرّ هذا العصر الزاهر بالثقافة والعلماء آمنون على مراكزهم آمنون على معائشهم وترفهم ثم استلم الحكم خلفاء جاهلون لا يدركون فضل العلم والعلماء. ثم اتخذوا حجابا بينهم وبين هؤلاء العلماء وحرموهم من مجالستهم ثم يبق لهم اعتبار بين الناس ولا جاه فضلا عن المورد العذب من المال ففقدوا بذلك ركنا هاما في حياتهم ومع هذا كانوا يرون الجهال والمدمنين على بنت الحان لا يفارقون مجالس الخلفاء والتمتع بملاذ الحياة معهم، فالخليفة، الجاهل لا يجالس العلماء وانما يجالس من كان جاهلا مثله أو أشد جهلا خشية أن تتضاءل شخصيته ويفقد حيثيته. فلا يطمئن على مقامه الا مع من دونه علما وأدبا ومع من يجانسه في المعاقرة

والاخلاق وقد لمسنا التذمر من تضاؤل مقام الأدباء والعلماء في شعر البحتري وابن الرومي.

على ان العلماء لم يبقوا مكتوفي الأيدي أمام هذه الاهانة وامام هذا الحرمان، وانما التفتوا إلى ما في جعبهم من ذلك الخليط من العقائد الممزوجة من هندية ومسيحية ومجوسية أو فارسية عساهم أن يجدوا فيها ما يعوضهم ما فقدوه فلم يظفروا الا بالتصوف والشعوذة أو ما يسمى بالكرامات.

فادعوا أنهم قادرون على ان ينفعوا من شاؤوا ويضروا من شاؤوا ولعلهم نفعوا وضروا على زعمهم فخافهم الملوك وطلبوا رضاهم والتمسوا منهم النفع والضر بالمال والعطاء ورجع لهم مركزهم الأول فعوضوا بباطلهم ما ضاع منهم بالحق فعارضهم ذووا العقيدة الراسخة ومن لا يشترون الحياة الدنيا بالآخرة «وهم كثر في كل زمان ومكان» وبذلك ذر قرن الشر بين فرقتين جديدتين واشتد النزاع بينهما وهما أهل السنّة والمعتزلة ومعهما الفلاسفة وكان السلطان يناصر الجهل والجهال، إما لأنه جاهل أو حفظا على سلطانه بين أمة جاهلة تخضع لظمه وجبروته.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثم اخذوا يمعنون في مطاردة المخالفين بشتى الاسماء لينفروا منهم الناس ويزيحوهم من طريقهم وانت خبير بان الزمخشري معتزلي والجاحظ معتزلي وكل مفكر أو فيلسوف معتزلي، وأنت خبير بان ابن تيمية مات سجينا ومعه تلميذه، ابن القيم، وابن رشد مات منفيا في مراكش واستمر هذا الكفاح بين الحق والباطل وهم يكفرون كل من يحاول الرجوع الى الدين الصحيح والابتعاد عن البدع التي شوهت الدين وما أدخله الفرس وغيرهم من مختلقات الأديان السابقة حتى أدرك هذا النزاع فيلسوف الشرق جمال الدين الافغاني وتلميذه محمد عبده ونالهما ما نال من سهامهم وتكفيرهم محافظة على التاج وعلى سلطان الباب العالي، وخليفة الله في أرضه وظله الممدود. ولما ساد الجهل وتغلب المبطلون على المحققين جعلوا سلطان الخليفة من سلطان الله فقالوا خليفة الله في أرضه وصاحب الحضرة العلية وظل الله الممدود واغدقوا عليه من صفات الألوهية ما يسكته عن مزاعمهم وشعوذتهم ونالوا منه ما يريدون من مقام ومال فظهرت أمامهم تجارة رابحة وهي تجارة الجهل

والجمود المهدم لاركان الدين وشريعته السمحاء واستمر المسلمون من سيء إلى أسوء حتى استيقظ الغرب فوجد مرتعا خصبا لغايته فشجع الطرق وناصر أصحابها بالمال والسلطان واعتمد عليهم في استعماره حتى تم له ما يريد ومن تتبع تاريخ الاستعمار في الشمال الافريقي ادرك ان كل طريقه خير من خمسين ثكنة في تأمين مصالح المستعمر وتوطين مركزه. ولولا التيجاني لما ذهبت الجزائر، ولولا الميزوني وقدور لما ذهبت تونس، ولولا ابن عيسى وعبد السلام لما احتل المستعمر مراكش.

في الولاية والأولياء

قال تعالى :

«الا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون» صدق الله العظيم.

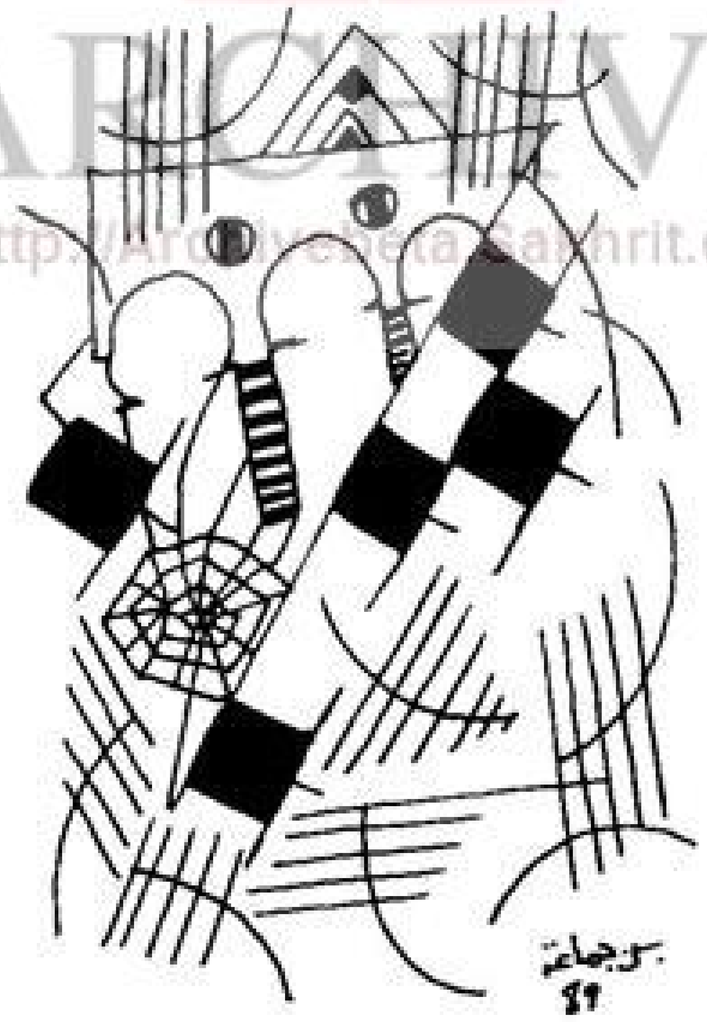
انت ترى ان الولي هو المؤمن التقي فلا غرابة ان يكون المؤمنون كلهم أولياء ما داموا يتقون ربهم ويعملون بأوامره ويجتنبون نواهيه دون حاجة الى ان يمشوا على سطح الماء أو يطيروا في الهواء. فالله تعالى يقيد الولاية بالنفع والضر ويكشف المغيبات كما يدعيه المتاجرون بالجهل لان النفع والضر وما هو في عالم الغيب أمورا اختص بها الله تعالى دون سواه فلم يطلع عليها نبيًا معصوما، ألم يخاطب الله الرسول الاعظم ويقول له في كتابه المحكم : قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إلى ملك» «قل لا أملك لكم ضرا ولا نفعا» الغيب لا يعلمه الا الله. وان يصبك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده» وهل كان للولي ان ينفع نفسه ويرد عنه الموت، والموت كريه لدى الناس وهل كان في مقدور الأولياء مجمعين ان يردوا شعرة سقطت من رأس صاحبها. ألم يأت الاسلام ليرد الناس عن اتخاذ الوسائط بينهم وبين الله حين قالوا : «ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى» وأي عبادة اندمث ان يخضع المرء أمام العظام النخرة والجيف الهامدة ويلتمس الخير من القبور والشجر والحجر فالله تعالى فرض الصلاة ليضع العبد أشرف ما في جسمه وهو الوجه على الغبراء التي توطأ بالنعال لثبت الخضوع إلى إله واحد خالق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الارض والسماوات على ان يكون شامخا بأنفه أمام غير الله كائنا من كان فروح العبادة والحالة هذه هي الاقرار بالعبودية والخنوع الى الله فمن ضنع وخضع لغير الله واستخدمته النفع والضر فهو مشرك عابد للأوثان. كيف لا يأخذنا العجب والمسلمون يتلون القرآن في صباحهم ومسائهم ثم لا يطلبون من الله نفعا أو دفع ضر الا جعلوا اسماء الأولياء واسطة بينهم وبين الله حتى كأن القرآن لم يأت ليعلمنا ديننا وفي الكتاب «قل أرأيتم ان اتاكم عذاب الله أو اتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين». وقد ردد القرآن آيات الدعاء ليرشدنا الى ما يجب ان نتخذه من اسلوب في الدعاء فقال جل من قائل «ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا، ربنا اغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا، ربنا لا تزغ قلوبنا، ربنا ... ربنا ...» ولم نجد آية واحدة تقول : ربنا بجاه ولي أو نبي اغفر لنا ذنوبنا ومن تدبّر، القرآن ادرك ما فيه من احترام لأتباعه وحرص على كرامتهم فلقد قال تعالى لرسوله : «يسألونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس، يسألونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير، يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير. وكلما حاول المسلمون أو غير المسلمين ان يسألوا الرسول يكلف الله نبيه بالرد عليهم فيقول له قل لهم، وقل لهم الا في الدعاء فلم يجعل النبي واسطة بينهم وبين ربهم ولم يكلف نبيه بالرد عليهم، وانما قال جل من قائل : «واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداعي اذا دعاني»، ولم يقل فقل اني قريب وقل اني اجيب دعوة الداعي اذا دعاني. لان الدعاء مظهر من مظاهر العبودية والعبودية لا تكون الا لله واحده. وأي نفع يمكن ان ينفع به الولي مريديه. فالحقوق على قسمين : حق للخالق وحق للمخلوق فمن الطبيعي ان يتساوى الناس في هذه الحقوق وهو ما يقتضيه عمل الله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره»، ليس من العدالة ان يسرق المرء ويعفو عنه الله اكراما لشيخه فيضيع حق المسروق له، وليس من العدل ان يغفر لزيد لأنه من اتباع الشيخ، ولا يغفر لعمرو لأنه ليس من اتباع الشيخ، ومن الحماقة ان نعتقد بان الولي يطلع على الغيب أو ينفع أو يضر، وقد نفى الله ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم. وأين نحن من قوله تعالى : «مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت ولو كانوا يعلموم»

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وماذا يفهم المسلمون من قوله تعالى : «أفحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادي من دوني أولياء انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا، قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا» وكثيرا ما اسمع الناس يقولون ان الشيخ قد هداهم إلى الصلاة وجنبهم الفواحش فهم بذلك قد جعلوا تأثير الشيخ اشد من تأثير الله وتأثير القرآن الذي يتلونه صباحا مساء، ثم لنفرض ان الشيخ هداهم إلى الصراة السوي، أليس ذلك من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو واجب من واجبات كل مؤمن.



إنتفضي يا أرض انتفضي

شعر : **عبد الحميد البراري**

إنتفضي يا أرض انتفضي
نرضى بالموت ولن ترضي
أفسدوا سحرك يا أرضي
لوّثوا نهرك
دنّسوا طهرك
دنّسوا طهري
قَسموا ظهرك
قَسموا ظهري
والكلّ الكلّ على العِرض
... همج ... أوباش ... قَتَله
ما راعوا مرضي
ما راعوا القدس على أرضي
... همج ... أوباش ... قَتَله
ما لزناة الليل والعِرْضِ

نحن مدار السُّرك
فئران ترقص للجبن
قطط تترصّد فئران الحجر
وذئاب تعوي
وكلاب تنبح تهرب من موج البحر
فيله أحمرة وخيول

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأسود في القيد على طول الدّهر
آه والعَرْضُ يتلوه العَرض
...
آه يا أرضي
عاهدنا الغرب على عدم الرّفض !
هل ننقض عهدا ؟
ما عُوِّدنا على النّقض !!!
آه يا أرضي
هل يحفظ عهد العار على عهد الأرض !!
إنتفضي يا أرض انتفضي
ما أفسدوا سحرك ... بالرّفض
ما لوّثوا نهرك ... بالرّفض
ما دنّسوا طهرك ... بالرّفض
ما قسموا ظهرك ... بالرفض
ما طوّعوا بطنك للجهض
ما نمتِ على ألم المرض
والرّفض يُتبَعُ بالرّفض
إنتفضي يا أرض انتفضي
فعهود النّوم تفضي للموتِ
ولا تفضِي ...
نحن غبار يتراكم
والأرض لا تحمل غير صخور
للرّفضِ
إنتفضي يا أرض انتفضي
فعقود النصر على الباب
وزلزالك قارب أن يمضي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

خَلَجَاتُ مُسَافِرٍ بِلَا جَوَاز ...

شعر : عامر اليعقوبي

• نَمْ وَاحْلُمْ كَيْفَ تَشَاءْ
وَانْسَ ذَا الْعَالَمَ الْمُظْلَمْ
فَالْكُلُّ ... هَبَاءْ !!!
نَمْ وَاحْلُمْ عَسَى
تَنْسَى
نَفْسَكَ لَحْظَهْ
نَمْ وَاحْلُمْ ... بِغَيْرِ عَنَاءْ

• نَمْ وَاحْلُمْ يَا ... أَنْتَ
عَلَّكَ تَنْسَى صَيْحَاتِ السِّجِينْ
ضَرَبَاتِ الْجَلَّادِ
وَعَوِيلَ النِّسَاءْ

• نَمْ وَاحْلُمْ يَا ... أَنْتَ
فَالْعَصْرُ سَرَابٌ هُنَا لَا آخِرَ لَهْ
وَدَمَارٌ بِغَيْرِ انْتِهَاءْ

• نَمْ وَاحْلُمْ ...
نَمْ وَاكْمِلْ حُلْمَكْ
فَاللَّيْلُ انْطِوَاءْ
• صَهْ، سُكُونَ اللَّيْلِ الدَّفِينْ !!
صَهْ، يَا نَائِمُ !!
نَاجِهِ فِي انْتِشَاءْ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

• فِي الْحُلْمِ تَرَى ... سَيْفًا يَلْهَثْ
فِي الْحُلْمِ تَرَى ... رُمْحًا يَبْحَثْ
فِي الْحُلْمِ تَرَى ... خِنْجَرًا
فِي صَدْرِكَ مَرْمِيًّا
اصْمُتْ وَاقْبَعْ
لَا تَصِحْ ...
لَا لَا تَجْزَعْ
لَا تَخَفْ ـ مِنْ لَوْنِ الدِّمَاءْ
• خَوْفٌ، شَرَرٌ
نَارٌ أَنْتَ
إِنْسَانٌ آخَرُ صَاغَهُ حُلْمُ اللَّيْلْ
وَدُمُوعُ الْيَتَامَى وَالْبُؤَسَاءْ
• نَمْ وَاحْلُمْ كَيْفَ تَشَاءْ
وَانْسَ ذَا الْعَالَمَ الْمُظْلَمْ
فَالْكُلُّ ... هَبَاءْ
• طَلَعَ الْفَجْرُ ...
خَبِّئْ شِعْرِي
وَاكْمِلْ حُلْمَكْ
فَالْكُلُّ ... سَوَاءْ !!!

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فِـــرَاقْ

فِـرَاقٌ وَبُعْدٌ بِدُونِ عِتَـــابْ
هِيَ النَّـارُ تَزْدَادُ فِيَّ الْتِهَـابْ
هِيَ الرُّوحُ قَدْ فَارَقَتْ أَضْلُعِي
فَأَمْسَتْ حَيَاتِي كَبَيْتٍ خَرَابْ
وَصَارَتْ لَيَالِيَّا دُونَ نُجُـــومٍ
وَبِالدَّمْعِ أَبْكِي أَعَزَّ الصِّحَـابْ
فَسِرْتُ كَمَجْنُونِ لَيْلَى بِدَرْبٍ
أَخُـطُّ الْقَوَافِي بِكُلِّ انْتِحَـــابْ
وَقَدْ غَابَ عَنِّي حَبِيبُ زَمَانِي
بِهِ قَدْ فَقَدْتُ الأَمَانِي الْعِـذَابْ
فَيَا قُرَّةَ الْعَيْنِ مَاذَا جَنَيْتُ ؟
لِأَقْضِي حَيَاتِي رَفِيقَ الْعَذَابْ
مَلَكْتِ فُؤَادِي وَحَيَّرْتِ فِكْـرِي
وَصَيَّرْتِ أَمْرِي لِوَهْمٍ سَرَابْ
وَإِنِّـــي أَسِيـــرُ هَوَاكِ وَأَنْتِ
الـدَّوَاءُ لِقَلْبِـــي الْـــمُصَابْ

محسن الفريجي

صديقـي

هَلْ سَيَأتِي ؟
بَعْدَ أنْ كُنَّا اخْتَلَفْنَا
وَافْتَرَقْنَا
وَمَضَى كُلّ إلَى غَايَتِهِ
هَلْ سَيَأتِي ذَلِكَ الْمَسْكُونُ حُزْنًا ؟
ذَلِكَ الْمَشْحُونُ دَمْعًا
ذَلِكَ الْغَارِقُ فِي الْهَوْسِ مَعِي
...
قِيلَ يَأتِي
فِي يَدَيْهِ الْوَرْدُ وَالْقُلُّ وَأَشْيَاء أُخَر
قِيلَ فِي يُسْرَاهُ قَلْبٌ
وَبِيُمْنَاهُ قَمَرْ
قِيلَ يَأتِي بَعْدَ عُمْرِ الْبَحْثِ عَنْهُ
بَعْدَ أتْعَابِ السَّفَرْ
قُلْتُ : كَيْفَ الْآنَ يَأتِي ؟
كَيْفَ يَأتِي وَيَمُرْ
إنَّهُ الشِّعْرُ صَدِيقِي ! يَا صَدِيقِي لَا تَمُرْ !

عبد الحميد اللطيف
عقارب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة

الذئاب تبتسم

عربية الرّوافي

احتضنت وليدها بكل حرارة، نزعت الشوق والحنين من قلبها لترسمه قبلات داعبت خصلات شعره وسكبت الدمع. وكأنها تمحو به الدماء. ثم نظرت في عينيه فوجدت البراءة شمسا نائرة، فعانقته من جديد تلتمس فيه حرمان السنين. لحظات الموت التي عاشتها وهي تتصارع مع هاجس الأمومة والشوق. كم بكت ليال طوال، كانت مريرة، تركتها حزينة، شريدة رحلت البسمة عن شفتيها.

في ليل حالك بظلامه وصامت بسكونه ... صرخت ... نادت بصوتها ... مزقت اللحاف والوسادة وخصلات شعرها الذهبي، هامت في أرجاء غرفتها، قضمت أصابعها لتبتلع الأنّات وباقي الصّراخ، كانت وحيدة في بيتها، زوجها في رحلة عمل طويلة. كان صدى الجدران يزعجها فتهمّ بضربها بكلتا يديها، آلام الوضع حان وقتها وهي لا تدري ماذا تفعل ...!! ظلت ممدّدة على فراشها تتلوّى بمنة ويسرة، تكتم أنّاتها وآلامها في صدرها خوفا من ازعاج جيرانها ..؟! ـ في هذه الساعة من الليل ـ ولكنها تتمزق ألما، لقد خرجت الآن، رجلاها تسوقانها الى الخالة خديجة، العجوز الطيّبة علّها تسعى لانقاذها ... طرقت الباب مرارا والعرق يتصبب من جبينها خرجت العجوز بسرعة وفرائسها ترتعش، فتحت الباب وجدت شبحا ملقى أمام بابها عرفتها، إنها هي، هذه الشابة الضحية ... قامت بنجدتها رفقة بعض الجيران ... ولم تستيقظ من غيبوبتها الا عن نداء الممرضة مبشرة إياها بولد بهيّ الطلعة مع أن ولادتها كانت عسيرة وقد كادت تموت لولا مشيئة الله فمدّت

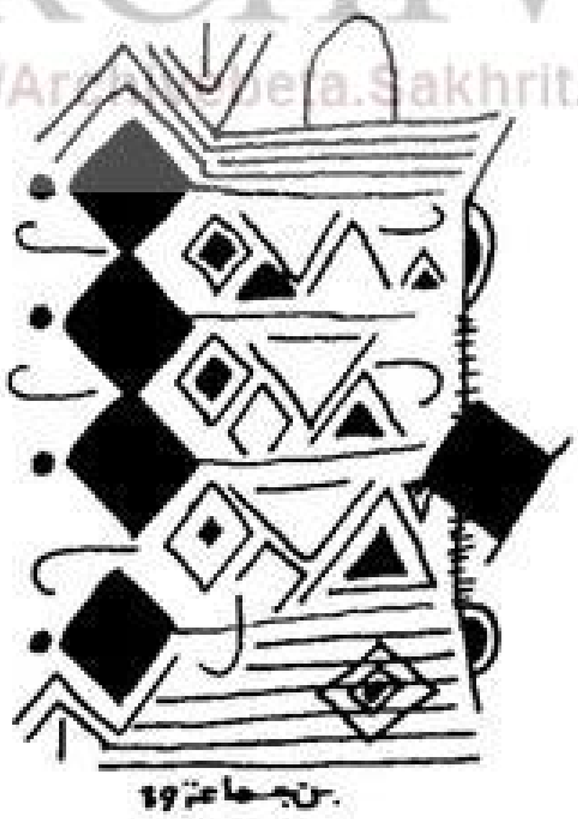
الممرضة لها مولودها طالبة منها إرضاعه تتالت الكلمات في أذن فاطمة، لكنها لم تستوعب ولَوْ حرفا واحدا ... ما عدى أنها فهمت شيئا واحدا ... وهو أنّها ولدت مولودا ذكرا كادت تطير من مكانها ولكنها لا تقوى حتى على السّير ... حملت مولودها بين أحضانها تأمّلت ... إنه يشبهه ... فرّت الدمعة من عينيها تذكرت قصتها ... انها ثمرة الحب العنيف ... يوم حملت حقيبة وفيها بعض الفساتين ولفافة أوراق وأخذت الطريق إلى أحضان حبيبها ... لم تترك في بيت أبيها سوى وصمة عار لاحقة إياه إلى حدّ وفاته ... من أجل هذا الحب داست على شرف العائلة ... كم كانت تحلم ببيت صغير ... عش يؤمّها هي وحبيبها جنبا الى جنب ولكنها دخلت هذا العش عصفورة مكسورة الجناح لا تصحبها كلمة تهنئه ولا زغردة بل بالعكس الكل يشير اليه وإليها بسباباتهم يتمتمون في صمت ويتكلمون علنا وجاء اليوم الذي كان لا بدّ من أن يأتي ... لقد صار الحبيب ذئبا ... يكشّر عن أنيابه لينهشها من حين لآخر وأهل «زوجها» سباع تترصّدها، لقد ظلت الطريق في زحمة هذه الذئاب التي تحاصرها لقد بقيت سجينة الدموع والآلام على أمل أن يأتي الذي بين أحشائها علّ الأمور تتغيّر ولكن في لحظة غفلة انتشلت السّباع وليدها من أحضانها لتتركها تتخبط في لوعتها. صرخت ... بكت ... «أين ولدي ...» «أين هو ...».

هدأت الممرضة من روعها حين قالَتْ لها : «لا تخافي يا سيدتي ان صغيرك بخير لقد أتت سيّدة وقالت إنها جدّته وأخذته ...!! نزل الخبر عليها كالصاعقة هبت في أرجاء المستشفى محاولة عبثا العثور على وليدها ... لكن هيهات لقد فات الأوان ... وَفجأة رجعت في حالة هستيرية إلى الممرضة صارخة فيها قائلة لها : لماذا تركتها تأخذه ... هل سمحت لك بذلك ... أنهم أعدائي ... لقد ترقّبوا ولادتي ليقطعوا آخر نفس يربطني بابنهم. دهشت الممرضة لهذا التصرف محاولة تهدئتها ... قائلة لها : ولكن عائلة زوجك من الأكابر ... وهنا ثارت ثائرتها وردّت ... وقالت ... «هذه هي مأساتي لقد دخلت الى مدينته ... وكان زادي حبّا طاهرا ... صادقا ... نقيّا ... حتى خلت أنه سيبادلني نفس الشعور ويكون لي الشمعة المضاءة في

حياتي لكن سرعان ما أصبح هذا الحبّ سرابا وأصبح الملاك النقي ذئب شرس مثله مثل باقي السباع وظللت وحدي أقاوم هذه الوحوش الكاسرة الى حدّ هذا اليوم الذي أخذوا فيه فلذة كبدي».

حينئذ استفاقت على صوت صغيرها وهو يناديها ... ماما ... ماما ... ما بك إني أراك شريدة ... ها إنني عدت لك الان بعد مدة طويلة ... لقد أعطاك أبي هذه الورقة ... أخذت فاطمة الورقة بكل شغف وكشفتها ... إنها ورقة الطلاق مع حضانة الابن لها ... فرّت الدموع من عيني فاطمة ولكنها ابتسمت أخيرا وقَالَت لوحيدها : «بعد رحلة حبّ عنيف يكون المطاف ورقة طلاق لكن لا يهم يا صغيري ... يكفيني عودتك إليّ».

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



تائـــه... إلـى مـتـى ؟

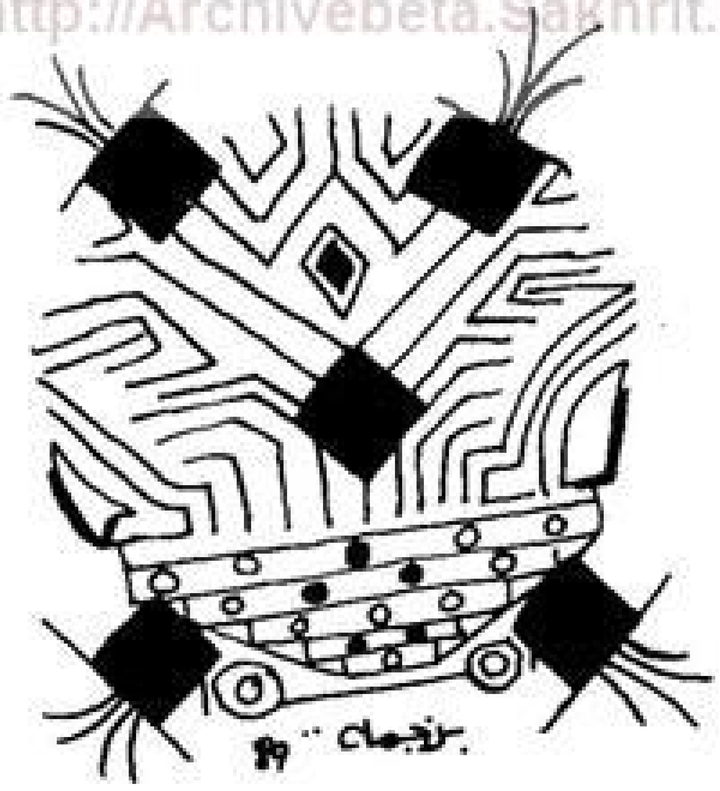
منـيرة الـهـاني

هو منكب على شرح الدرس لتلاميذه، طرق الباب، أجاب بالدخول دون رفع رأسه من سجله على الطاولة غير مبال بمن سيدخل ـ ألقيت عليه التحية، فردّ ولكن ارتبك فجأة وأضاع معلوماته على ورقه وتاه بصره بين الأسطر وانقطع عن الكلام ليلتفت جهة الباب ـ ويراها ـ بقدها وحسنها ـ فقد ألف هذا الوجه الصبوح وهذه الرقة في الكلام ـ رآها في كل القاعة ـ سمع الجدران تردّد صدى همستها الناعمة كأنها تردّ على تحيتها ـ نظر إلى التلامذة فرأى صورتها في أعينهم، وحبّذ لو يفتكها منهم ليخبّئها في عينيه لوحده ـ في قلبه.

وما زالت عاصفة الارتباك تلف به الأرجاء، حتى سمع صوتها من جديد لتطلب منه مدّه ببعض الطباشير فسبقت إليها يده بملئها منه ـ فابتسمت شاكرة ـ واعتذرت عن انقطاع الدرس بسببها، وخرجت لتسحب الباب وراءها دون أن تحدث أي ضجيج، ونسيت أن فكره بقي خارج القاعة ـ ابتلع ريقه بصعوبة وثبت نظاراته على وسط أنفه كأنه يريد أن يتلافى دهشة تلامذته من أمره وواصل الدرس في هدوء، لكن أفكاره طارت من مخيلته ـ فشرد وراءها ـ ما عدا لسانه يملي ما تراه عيناه على صفحات السجل.

ترى هل أتت لحاجتها للطباشير، أم أتته عنوة لتوقظ جراحه؟ ـ فهي تعلم أنه يحيى بها ولأجلها، وهي ما تنفك تزوره في الفصل متعللة بحاجتها لشيء ما ـ وهي تعلم كذلك أنه يتعذّب كلما رآها ومع ذلك يشتاق إلى رؤيتها في كل لحظة ـ هل تشعر به وتحس بمشاعره الرقيقة تجاهها ـ أم أنها تلتذّ حرمانه وعذابه في حبّها؟ ـ عموما سيحاول أن يفاتحها في الأمر ـ في الارتباط به طبعا ـ لكن كيف يتصدى لنظراتها ـ هل يقدر على الكلام إليها وهو الذي لا يساوي شيئا أمام فتنتها الصاخبة وأنوثتها الناطقة بحروف الهيام؟ ـ هي زميلته في التدريس ـ لكن في الحقيقة هو تلميذ فاشل ـ هل توافق عليه؟؟؟ ـ لا يزال يملي من سجله وتلاميذه يكتبون ما يملي عليهم وخياله شارد ـ حتى رن الجرس ـ فختم الجملة الأخيرة وأغلق السجل ووقف يجمع أدواته في صمت ويترك القاعة باحثا عن آماله خارجها...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



فَقَط أن نكُونَ مَعًا

إِذَا جَفَّتِ الأَرْضُ
سَقَينَا الأَدِيمَ عَرَقْ
وَعِشْنَا الأَرَقْ ...
وإِنْ كَان لَا بدَّ أن نَحْتَرِقْ
نَحْتَرِقْ ...
فِدَاءَ الوَطَنْ
فقَطْ أَنْ نَكُونَ مَعًا ؟

إبراهيم الشنيتي
بوعرادة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصيدتان

(1)حنيـــن

إصْفَرّت الأوراق
ياخـريـفْ ...
تَسابقت في نشوة
يأســرها
عشقُ الرّصيـفْ.
وَمَــرّت الأقْـدَام
آه يـا أحــلَام !!
ما أشهى في هذا الصباح المُمْطِرِ
رائحـة الرغيـفْ ...
ما أسْمَـى هذَا الـعُرْيَ
يَـا شجــرْ ...
في الليـل كلّمـا انْـغَمَسْتُ
في خمــرك
وانْـهمَرْتُ بِالْبُكَــاء
ما أحْـلَــى
أن يغسلك الـمطــرْ...

(2) حلــم

كُلّ لَيْل لا يُؤَاخِيني بـك
أغتَالـه سكـرا... وشِعـرا...
ويَقينـا بالصّبـاح
وأنَـامُ مـثل طَيـرٍ
ضَيَّـعَ السِّرْبَ
وأحْبـو كرَضيـع
في ضَبـاب الـذّاكـرَه.
كُلّ أرْضٍ لا تُسْمِيني بك
أصلبُ أشجارهـا
وأنـاديـك لِمَهْـد
وأهدْهِدُك قَلـيـلا
يحمـلك الحلـم بعيـدًا
عن فحيـح الـهاجــره.
كُلّ بَحْـر لا يُـلاقِينـي بـك
أغْـرقُـه مَوْجـة... مـوجـة
وأصوغُ اللُّؤْلـؤ عِـقدا
وأبْكـي كُلّمَـا غَـابَ الـعُنـق
وأغنّـيك متـى لاحَ الأفــق
بشـمـوس مـن ضيــاء الكلـمــات
وعبيــر الأمنيــات السّاحــره.

كمال بو عجيلة ـ مدنين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجرح النّازف

عمر أولاد وصيف

(1)

مرة ...
في عنكبوت الضياع
تهت ...
وحين ادركت نوافذ الضياع
والتيه ...
كنت أحمل وجهي
والدمعة ...
كان القلب
في حفنه الانتظار
نائما
غاطسا في ركام الذاكرة
وفجأة
تدحرج فار فوق صدري
استيقظ
قم حاورني
لم افقه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لم اسمع
لكنني أجبت بالصحيح
عليك ان لا تحمل ثانيه
فبكي وبكيت طويلا
وفجأة فارقني وللابد
في تلابيب الدواحيس
تتشطر الروى
تقترفن الفراغ
وجهي ...
والدمعة غادرتني
وعادت إلي في انخفاض الروى
والزمن ...
ومات عند المفترق
الجسد
وما أراه سوى خراب الروح
والجسد

(2)

امرأة تدحرجت في خطوط كفي
لينة هي الماء
تغرق في هواء
تعطش
كل الاشياء منا إليها
امرأة تدحرجت
ومازلت خلفها
يراود النفس عنها

(3)

شارع ... وشاعر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وما بين ناري ومائي
أرق مبذول
عرق متعب
تعب ... قلق
وتقل في الامنتهى
جسد
فراغ
وحالات

(4)

تعاقد
تعايش
جوع ذل
ندم موت بلا بطاقه
في تلابيب الدواميس

(5)

للكلام الفارغ
والتوقيع
واطفاء اللذة المحرمه
للكلام بدايه
ونهايه
وللاشياء منتهى

(6)

بين الروّى والصوت
بين الخطايا والجنه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جثه
تنتظر
صاحب الامانه
يأتي
يأخذ الروح
ويسير بها
إلى شجرة اللامنتهى
هذي رحلة الشقاء
سجن العبيد
وحالات أخرى
هذي روائح الدواميس
حياه بلا بطاقه

(7)

في هواتف الروَى
وما بين الرغيف والرغيف
يشتعل الندى ...
ويدنو المدى ...
في مآقي الأرق العرق
حمامة جناحها الضوء
وبعض دم السماء ...
في اعتصام الذاكرة
وفي اللذة المشتهاء
موت ...
والموت بلا بطاقه

(8)

في جرح اللامنتهى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

طير يطير
وخط من دم السماء
تعاقد
تعايش
وأنا أحيا وأموت
في ما أرى
جبل هزيل قام فوق أصابعي
وأنا أدخن أصبعي
في ما لا أرى ...

(9)

أيها الجرح المعاصر هل تكفي المشاعر
ونداء التلاحم ...
غضب الأرض
دمع الأرض
وخبز الكادحين
بين حط وارتحل

(10)

أيتها النجوم الفارهة
هل أسأل عن فاتنتي
أبحث عنها
القاءها في جزر الموت
أولمت كل غنائمي ضدي وضدي أنا يا أنا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

✵✵✵✵ امرأة الحب الخالد ✵✵✵✵

شعر : المختار المومني

الاهداء : إلى زوجتي إضمامة شوق ومحبة

حبيبتي
أراك مرّة سحابة مليئة بالحبّ والثمر
ومرة كنسمة عليلة تظلّلين العالم الوسيع
وتمسحين عن جفوني المكدودة الإرهاق والضّجر
ترمّمين عمريَ القصير
وترسمين أروع الصور
من أنت يا حبيبتي ؟!
ما سرك الدفين ؟
أنجمةٌ تتيه في رحَابة السّماءِ لم تصل لكوكَبٍ أمين
أم أنت يا حبيبتي أسطورة تصارع الاقدار والسنين ؟!
ـ أنا حمامة بيضاء
يعطّر الأجواءَ صوتُها وينشر السكون والصّفاء
أنا غمَامة مِعْطاء
تغسل الجروح والقروح
وتنبت السنابل فيولد الرخاء
أنا قصيدة ثورية
جميلة الأفكار والصّور
أنا سؤال حائر بلا جواب
وإنّي المبتدأ
فهل تكون لي خَبَرْ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الهروب إلى الصحراء

بوبكر حريزي

ضمَّيني إليك ودعي قدماي تتمرّغ فوق بساط رملك، دعي حرّ شمسك تلفح وجهي وقرّ شتائك ينخر عظامي ... دعيني أركب سفينة الصحراء وأتغنّى بجمال بدوية حسناء ... دعيني ... ضمَّيني إليك وشدّي وثاقي بقوّة جاذبة ... فأنا قد مللت الحياة في المدينة وكرهت العيش فيها ...

مللت غربتي فيها ... كرهت حياة الأرقام والأوراق وتوتّر الأعصاب ... فما أجمل وداعتك وما أطيب العيش في أحضانك وما أرحب أفقك ... ويا لصفوة نفسي فيك وارتياحي بك، فضمَّيني إليك بقوّة أرتوي من نبع صفوك وأحرس نجوم الليل وأحدّث البدر عن تعب المدينة وزيفها، فأنا الهارب منها إليك أيتها الصحراء الهادئة الجميلة ...

فالنّاس هناك في حركة دائبة ورتابة مملّة ... هناك وعلى ضاحية البحر يسكن ـ السيد مبروك ـ موظف متوسط الدّخل بشركة للنّسيج ... أسمر البشرة، شاحب الوجه، مديد القامة، عيناه شاخصتان في المدينة وأشيائها وزمنها ... يسكن مع زوجته ـ السيدة وفاء ...

جلس ـ السيد مبروك ـ قرب النّافذة المشرفة على البحر ذات مساء بعد إرهاق العمل يسكب تعب يومه على شاطئه ويشكوه ألمه وأمله ... لم يكن فيلسوفا ولا كاتبا ولا شاعرا ... بل كان يبحث عن أنيس وصديق فوجد في البحر ارتياح الغريب للغريب ... إعتدل في جلسته وتأمّل هدوء البحر وزرقته السّاطعة. أطلق زفرة إرتياح وقال بصوت خافت وهو يخشى أن يسمعه أحد غير البحر.

ـ بماذا سأحدّثك ومن أين سأبدأ شكواي إليك ؟

فآه وألف آه ! فلقد أضناني دربي وتعب مسيري بعبىء أشياء المدينة اللامتناهية ... تلك الأشياء البسيطة والمعقّدة تأخذ من مرتباتنا المتواضعة والمتوسّطة الدّخل عجزا ... تأخذ منّا الشعور بمتعة الزّمن ونكهة الحياة ... تهبنا خيالا شاسعا للحلم وتطوي أحلامنا الكبيرة بسخرية الواقع ... كنت أحلم بسيّارة تريحني عناء التّنقّل وزحمة الحافلات ... أعجبتني إحداها. سألت عن ثمنها ... قمت بحساب تقريبي لتسديده ... سألني بائعها :

ـ هل لك مورد رزق آخر بخلاف مرتّبك الشهري ؟

قلت على مضض : لا.

فابتسم نصف ابتسامة من بلاهة حلمي وقال :

ـ أتريدني أن أنتظر حفيدك لكي يسدّد ثمنها !

فعدت أدراجي مكسور الخاطر وقد تكسّرت أجنحة حلمي ...

الجزّار، العطّار، الخضّار، ... باعة الحي صاروا يتذمّرون من حرفاء لا يفون بعهدهم ... فتحوّلت بشاشتهم الأولى إلى تجهّم وتقطّب ... لكن حرفاء هم أمثالي قدر عليهم ...

أفاق ـ السيد مبروك ـ من إرهاصات أحلامه المرهقة وهو يتابع حركة مدّ لموجة فضّية ساحرة وقد أوشكت الشّمس على الغروب فتبدو كالهاربة من المدينة في حمرة تسرّ النّاظر إليها ليودّعها وتغسل بعض أدرانها من نفسه التّائقة إلى زمن غير هذا الزّمن ... رأى طيور البحر وهي تحلّق فوق مائه تسابق أمواجه في عناد ممتع ... الطيور الصّغيرة بأجنحتها تعانق البحر ولا تخشاه، تحلّق في الفضاء الرّحب بعيدا بعيدا ... والانسان بعقله وموهبته وحضارته يعيش في خوف وحذر ... يبحث عن حرّيته وسعادته فيظلّ واهما أو حالما ...

إنقطع شريط حلمه الممتع مع غروب الشّمس وطيور البحر إثر جزر الموجة فعادت إلى مخيّلته إجازته السّنوية وهو يبحث عن الرّاحة ... لم يبق

عن موعد الاجازة سوى يومين ... أين سيقضي هذا الشَهر بعيدا عن جلبة المدينة وضجيجها ... أين سيستعيد سكينة نفسه وهدوء أعصابه ويشعر بمتعة الحياة ... ولا شيء يثقل كاهله وخطاه ... فلقد اعتاد الهروب من مدينة إلى مدينة أخرى أو يظلّ سجين مدينته ...

ـ «لا ! لا ! ... سأهرب إليك أيّها الحضن الدّافىء والأفق الرّحب سأعيش الحياة فيك بوداعة وبساطة وصفاء ... سأترك المدينة بزيفها وإرهاصاتها وإرهاقها ومللها وضجرها ... فضمّيني إليك ودعي قدماي تتمرّغ فوق بساط رملك ... فأنا الهارب منها إليك أيتها الصحراء الهادئة الجميلة ...».

وهتف مناديا :

ـ وفاء، وفاء، غدا سنستعدّ للرّحيل !

ـ إلى أين ؟

ـ إلى الصحراء !

ـ عجيب أمرك ! أتريد أن نقضي إجازتنا في الصّحراء ...

ـ وما العيب في ذلك ؟.

ـ أتريد أن نستبدل نور الكهرباء بالقمر والنجوم ونترك شقّتنا الشّاهقة المطلّة على البحر لنسكن خيمة من الشّعر تحاصرها الرّمال ... نترك ترف المدينة لنقدم على قناعة البدو بين قطعان الأغنام وقوافل الابل !.

نظر إليها وهو يحاول إقناعها بملامح وجهه أنّه لم يجن من المدينة سوى الغربة والارهاق ... وأردف قائلا :

ـ حسنا ! ما رأيك لو نجرّب ثلاثة أيام في الصحراء من إجازتنا ... فالحياة هناك هادئة، بسيطة، لا شيء يعكّر صفوها ... سننزل ضيوفا عند صديق بدويّ قديم ... فلتستعدي لذلك ...

ـ حسنا ! ما دمنا في دعوة ضيافة قصيرة !

احتضنتهما الصَحراء ... إنقضت الأيّام الثّلاثة ... إنقضى الشهر الأوّل والثّاني ... جالس البدو ... أصبحت له خيمة من الشّعر ... أهداه بعضهم قليلا من الغنم وأهداه صديقه المضيّف جملا وناقة ... تعلّم العزف على النّاي ... صار له قطيع غنم وقافلة إبل ... نزع ربطة العنق وكسوة المدينة وصارت له عمامة وجبّة ...

تأقلمت ـ وفاء ـ مع الصحراء فأصبحت بدوية حسناء أكثر هدوءا وروعة وجمالا وأصبحت تمشي بكبرياء الخنساء ... وتعلّم ـ مبروك ـ الفروسية وتفجّرت لديه موهبة مدفونة وصار يقرض الشّعر ... تحوّلت حيرته إلى إرتياح وشحوبه الى صفو في أفق رحب وحياة بسيطة لكنّها هادئة جميلة ...

أجال النّظر في السماء يتنقّل بين النّجوم والقمر وكانت ـ وفاء ـ تطيل النّظر في وجهه تستقي من نبع حبّه فبادرته بقولها :

ـ عمّا تبحث في السّماء !

ـ أبحث عنكِ.

ـ لكنّي معكَ.

ـ يخال إليّ أنّ القمر يحدّث سائر النّجوم عنكِ ... فأنتِ البدر القادم من المدينة لتعيدي إلى الصحراء قصة حبّ ليلى لقيس ...

ـ يحدّثني قلبي أنّك تحبّني في الصّحراء أكثر من المدينة ... فلتكن الصحراء فضاء رحبا وسفينة حبنا إلى الأبد ...

ـ كلّا ! إنّ المدينة قد أسّرت هوانا وحاصرته فكتم الارهاق مشاعرنا ... وها هي الصحراء تعتقه وتجدّده ببساطتها ووداعتها وصفوها ... فالهروب إلى الصّحراء هو هروب إليك يا ـ حبيبتي ـ ...